نجار وأعظم

تأليف : جوش ماكدويل

نجار .. وأعظم

تأليف : جوش ماكدويل

حقوق الطبع محفوظة لحياة المحبة في الشرق الأوسط

المحتويات

تمهيد

قبل حوالي ألفي سنة دخل يسوع جنسنا البشري. كان عضوا في عائلة فقيرة تنتمي إلى إحدى الأقليات، سكنت في أحد أصغر بلاد العالـم. عاش حوالي ثلاث وثلاثين سنة تضمنت السنوات الثلاثة الأخيرة منها خدمته العامة.

غير أن كل الناس تقريبا في كل مكان ما زالوا يتذكرونه. فإن التاريخ الـذي يظهر على جرائدنا الصباحية أو تاريخ حقوق طبع أي كتـاب يـشهد لحقيقـة أن يسوع عاش حياة متميزة عن كل من عداه.

سئل المؤرخ المرموق هـ. ج. ويلز عن أكثر شخص ترك تأثيرا دائما فـي التاريخ. فأجاب بأنه إذا قيست عظمة هذا الشخص بالمقاييس التاريخية، فإن "يسوع يأتي أولا حسب هذا الاختيار." وقال المؤرخ كينيث سكوت لاتوريـت: "تتجمـع الأدلة وتزداد مع مرور الزمن على أن يسوع هو أكثر شخص أثـر فـي تـاريخ البشر. ويبدو أن هذا التأثير ما زال يتزايد."

وقد أبدى إيرنست رينان الملاحظة التالية: "كان يسوع أكبر عبقريـة دينيـة ظهرت. جماله أبدي، وحكمه لن ينتهي. يسوع فريد في كـل ناحيـة، ولا يمكـن مقارنته مع أي شخص. لا يمكن فهم التاريخ كله بدون المسيح."

الفصل الأول

ما الذي يـميز المسيح؟

كنت أتحدث مؤخرا إلى مجموعة من الناس في لوس أنجلـوس، ووجهـت إليهم السؤال التالي، "من هو، في رأيكم، يسوع المسيح؟" أجابوا بأنه كان قائدا دينيا عظيما. وأنا اتفق مع هذا الرأي. يسوع المسيح كان قائدا دينيا عظيما. لكني أعتقد أنه كان أكثر من ذلك بكثير.

الرجال والنساء عبر العصور انقسموا عند طرح هـذا الـسؤال "مـن هـو يسوع؟" فلم كل هذا الخلاف حول شخص واحد؟ لماذا يسبب اسمه اكثر مـن أي اسم آخر كل هذا الضيق والغضب؟ لماذا عندما تتحدث عن اللـه لا يثور أحـد، بينما يميل الناس إلى قفل باب الحديث عندما تذكر اسم يسوع أو انهـم يتخـذون موقف الدفاع؟ ذكرت اسم يسوع أمام سائق سيارة أجرة في لندن، فقال على الفور، "لا أحب النقاش في الدين، خاصة فيما يتعلق بيسوع."

كيف يختلف يسوع عن غيره من القادة الدينيين؟ لـم لا يتضايق الناس عند ذكر أسماء مثل بوذا وكنفوشيوس وغيرهما؟ يرجع السبب إلى أن أيا من هـؤلاء الأشخاص لـم يدع بأنه اللـه، لكن يسوع قال ذلك عن نفسه. وهذا ما يميزه عن غيره من القادة الدينيين.

لـم يمض وقت طويل حتى بدأ الذين عرفوا يسوع يدركون أنه كان يقـول أشياء مذهلة عن نفسه. واصبح من الواضح أن أقواله عن نفسه تجعله اكثر مـن مجرد نبي ومعلـم. لـم يكن هنالك شك في أنه يدعي الألوهية. كما قـدم نفـسه

على أنه الطريق الوحيد لإقامة علاقة مع اللـه والمـصدر الوحيـد للغفـران، والطريق الوحيد للخلاص.

إن هذا الموضوع أشمل من أن يقبل به الكثيرون، وأضيق من أن يرغبـوا في الإيمان به. غير أن المسألة ليست مسألة ما نريد أن نعتقده أو نؤمن بـه، بـل بالأحرى "من هو يسوع حسب زعمه؟"

ماذا يخبرنا العهد الجديد حول هذا الأمر؟ إننا غالبا ما نسمع هـذه العبـارة تتردد "ألوهية المسيح" وهي تعني أن يسوع المسيح هو اللـه.
يعطي أ. هـ. سترونج في كتابه "اللاهوت النظامي" تعريفا للـه بقوله إنـه "الروح اللامحدود الكامل الذي هو مصدر كل الأشياء وحافظها وغايتهـا." وهـذا التعريف مقبول لدى كل المؤمنين بوجود إله واحد. وتعلـم كل الديانات الموحـدة بأن اللـه شخصي وأنه هو مهندس الكون وخالقه. وهو يحفظـه ويحكمـه الآن. ويضيف الموحدون المسيحيون شيئا الى التعريف السابق فيقولون: "وتجـسد فـي يسوع المسيح."

إن يسوع المسيح في حقيقة الأمر اسم ولقب. واسم يسوع مشتق من الصيغة اليونانية لاسم يشوع التي تعني "اللـه - المخلص" أو "الـرب يخلـص." ولقـب المسيح مشتق من الكلمة اليونانية المقابلة للمسيا (أو كلمة المشيخ العبرية - دانيال ٢٦:٩) وتعني "الشخص الممسوح" ويشتمل استعمال لقب "المسيح" على وظيفتين، وهما وظيفة الملك ووظيفة الكاهن.

ويؤكد لقبه على انه الكاهن والملك الموعود الذي تحدثت عنه نبوءات العهد القديم. ويشكل هذا التأكيد أحد الجوانب الجوهرية لامتلاك فهـم صـحيح لفهمنـا ليسوع وللمسيحية.

يقدم لنا العهد الجديد المسيح كاللـه بكل وضوح. إن الأسماء والألقاب التـي يطلقها العهد الجديد على المسيح لا يمكن أن تنطبق إلا على اللـه. فهـو يـدعى اللـه مثلا في تيطس ١٣:٢ "منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد اللـه العظيم ومخلصنا يسوع المسيح." قارنها مع يوحنا ١:١، عبـرانيين ٨:١، روميـة ٥:٩، ١يوحنا ٥:٢٠-٢١.

ينسب الكتاب المقدس ليسوع صفات لا تصح نسبتها إلا الى اللـه. فهو يقدم لنا ككائن ذاتي الوجود (يوحنـا ٤:١، ٦:١٤) وكلـي الوجـود (متـى ٢٠:٢٨، ٢٠:١٨) وكلي العلم (يوحنا ١٦:٤، ٦٤:٦، متى ٢٢:١٧-٢٧)، وكلـي القـدرة (رؤيا ٨:١، لوقا ٣٩:٤-٧:١٤،٥٥، متى ٢٦:٨-٢٧)، وممتلك للحيـاة الأبديـة (١يوحنا ١١:٥-٢٠،١٢؛يوحنا ٤:١).

قبل يسوع المجد والعبادة اللذين لا يليقان إلا باللـه. قال يسوع في مواجهـة له مع الشيطان. "مكتوب، للرب إلـهك تسجد، وإياه وحده تعبد" (متى ١٠:٤) غير أن يسوع تلقى العبادة كاللـه (متى٣٣:١٤، ٩:٢٨). كما نجد أنه طالب أن يعبـد كاللـه (يوحنا٢٣:٥، قارنها مع عبرانيين ٦:١، رؤيا ٨:٥-١٤).

كان معظم اتباع يسوع من اليهود الورعين الذين يؤمنون بإله واحد حقيقـي. كانوا مؤمنين موحدين حتى النخاع، غير انهم اعترفوا به كاللـه المتجسد.

وقد كان من الممكن أن يكون بولس أقل استعدادا من غيره من اليهود بـأن ينسب الألوهية لرجل من الناصرة ويعبده ويدعوه ربا، وذلك بسبب تربيته الدينيـة اليهودية المتشددة. لكن هذا هو ما فعله بولس بالضبط. فقد اعترف بحمل اللـه (يسوع) كاللـه عندما قال "احترزوا إذا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة اللـه التي اقتناها بدمه" اعمال٢٨:٢٠.

عندما سأل المسيح بطرس عمن يكون أجاب: "أنت هو المسيح ابـن اللـه الحي" (متى ١٦:١٦). لـم يصحح يسوع الاستنتاج الذي توصل إليـه بطـرس ولكنه اعترف بصحته ومصدره "طوبى لك يا سمعان بن يونا لأن لحما ودما لـم يعلن لك، لكن أبي الذي في السماء." متى ١٧:١٦.

قالت مرثا، وهي تلميذة مقربة من تلاميذ يسوع، "أنا قد آمنـت أنـك أنـت المسيح ابن اللـه" (يوحنا ٢٧:١١). ثم هنالك نثنائيل الذي لـم يكن يعتقـد أنـه يمكن أن يخرج شيء صالح من الناصرة. فقد اعترف للمسيح قـائلا "أنـت ابـن اللـه. أنت ملك إسرائيل" (يوحنا ٤٩:١).

صرخ استفانوس أثناء رجم اليهود له قائلا "أيها الرب يسوع اقبل روحـي!" (أعمال ٥٩:٧). يدعو كاتب الرسالة إلى العبرانيين المسيح بأنه اللـه وذلك بقوله: "وأما عن الابن كرسيك يا اللـه إلى دهر الدهور" (عبرانيين ٨:١). كمـا أعلـن يوحنا المعمدان عن قدوم يسوع بقوله "ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلا: انت ابني الحبيـب، بـك سـررت" (لوقـا ٢٢:٣).

ولدينا أيضا اعتراف توما المعروف "بالمتشكك." فقد كانت له عقلية كثيـرين من خريجي الجامعات اليوم. قال "إن لـم أبصر في يديه أثر المـسامير وأضـع إصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أؤمن" (يوحنـا ٢٥:٢٠). وأنـا أفهم موقف توما وأتعاطف معه. فلسان حاله يقول "لا يحدث يوميا أن يقـيم أحـد نفسه من بين الأموات أو أن يدعي أنه اللـه المتجسد. ولـهذا فأنا أحتـاج إلـى برهان".

وبعد ثـمانية أيام من قيام توما بعرض شكوكه حول يسوع أمـام التلاميـذ الآخرين "جاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف في الوسط وقال: سلام لكم، ثم قـال لتوما: هات إصبعك إلى هنا وابصر يدي وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكـن

غير مؤمن بل مؤمنا. أجاب توما وقال له: ربي وإلـهي! قال له يـسوع: لأنـك رأيتني يا توما آمنت. طوبى للذين آمنوا ولـم يروا" (يوحنا ٢٠:٢٦-٢٩). لقـد قبل يسوع اعتراف توما بأنه اللـه. ووبخه على عدم إيمانه، ولـم يوبخـه علـى عبادته له.

وقد يعترض ناقد هنا بقوله إن كل هذه الآيـات والإشـارات صـادرة مـن أشخاص عن المسيح وليست صادرة من المسيح نفسه. والاتهام الذي يظهر عـادة هنا هو أنه ربما أساء معاصرو المسيح فهمه كما نسيء فهمه اليوم، أي أن المسيح لـم يزعم أنه اللـه.

لكني أرى أن المسيح قال ذلك عن نفسه، وأنا أؤمن بـأن ألوهيـة المـسيح مأخوذة مباشرة من صفحات العهد الجديد. والإشارات إلى ذلك كثيـرة ومعانيهـا واضحة. قام أحد رجال الأعمال بدراسة دقيقة للكتاب المقدس ليتأكد مـا إذا كـان المسيح قد قال انه اللـه، فخلص إلى النتيجة التالية، "كل شخص يقـرأ الكتـاب المقدس دون أن يستنتج أن المسيح هو اللـه، يكون كالشخص الواقف في العـراء في وضح النهار ويقول أنه لا يرى الشمس، وبذلك يكون هو والأعمى واحد."

نرى في إنجيل يوحنا مواجهة بين يسوع وبعض اليهود. ولقد كان سببها ان يسوع شفى رجلا كسيحا في السبت وطلب إليه أن يحمل سريره ويمشي. "ولـهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا في سـبت. فأجـابهم يسوع أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل. فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثـر أن يقتلوه. لأنه لـم ينقض السبت فقط، بل قال أيضا إن اللـه أبـوه معـادلا نفـسه باللـه" (يوحنا ٥:١٦-١٨).

وقد يعترض شخص بقوله "وماذا في ذلك؟ فأنا أستطيع أن أقول أيضا: أبـي يعمل حتى الآن، وأنا أعمل. فهذا لا يثبت شيئا." عندما ندرس أي نص، فإن علينا

أن نأخذ في اعتبارنا لغته وخلفيته الثقافية والأشخاص الذين وجه إلـيهم. والـنص الذي أمامنا يهودي، والأشخاص المخاطبون هم قادة اليهود الدينيون. دعونا نـرى كيف فهم اليهود قبل ألفي عام أقوال يسوع. "فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه، لأنه لـم ينقض السبت فقط، بل قال أيضا إن اللـه أبوه معادلا نفـسه باللـه" (يوحنا ٥:١٨). فلماذا رد الفعل القوي هذا؟

كان السبب وراء ذلك هو في أن يسوع قال "أبي" ولـم يقل "أبونا" ثـم قـال "يعمل حتى الآن." إن استخدام يسوع لـهذه الكلمات جعله مساويا للـه، وعلـى مستوى متكافئ معه في أعماله. لـم يكن اليهود يشيرون إلى اللـه بقولهم "أبي." وحتى إذا فعلوا ذلك، فإنهم يربطون "أبي" بـ "الذي في السماء" غير أن يسوع لـم يفعل ذلك. لقد قال شيئا عن نفسه لـم يكن بإمكان اليهود أن يسيئوا فهمه عنـدما أشار إلى اللـه بقوله "أبي." كما قال المسيح، بأنه في الوقت الذي يعمل فيه اللـه، فإنه هو أيضا يعمل. ومرة أخرى فهم اليهود بأنه كان يعني أنه ابن اللـه. وبنـاء على هذه الأقوال، ازداد حقد اليهود عليه. كان هـدفهم الأساسـي هـو الـسعي لاضطهاده، لكنهم بدأوا الآن يفكرون في قتله.

لـم يقل يسوع انه معادل للـه فحسب كأبيه، ولكنه أكد أيضا أنه واحد مـع الآب. جاء بعض قادة اليهود الدينيين إلى يسوع أثنـاء احتفـالات عيـد التجديـد بأورشليم، وسألوه عما إذا كان هو المسيح. أنهى يسوع إجابته عن سؤالهم بقولـه "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠:٣٠) "فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه. أجـابهم يسوع: أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي عمل منها ترجمـونني. أجابه اليهود قائلين: لن نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف. فإنـك وأنـت إنسان تجعل نفسك إلـها" (يوحنا ١٠:٣١-٣٣).

قد يتساءل البعض عن سبب رد فعل اليهود القوي لقول يسوع بأنـه والآب واحد. إن دراسة هذا القول كما ورد في النص اليوناني مثير للاهتمـام. يقـول أ.

ت. روبرتسون عالـم اللغة اليونانية بأن كلمة "واحد" كما استخدمها يـسوع هنـا "محايدة" أي أنها لا تشير إلى المذكر، وهي لهذا لا تشير إلى وحـدة فـي نفـس الشخص أو الهدف وإنما وحدة في الجوهر أو الطبيعة. ثم يـضيف روبرتـسون: "يشكل هذا التصريح الصعب والمفهوم في نفس الوقت قمة إعلانات المسيح عـن علاقته بالآب كابن له. ولقد أثارت في الفريسيين غضبا لا يسيطر عليه."

لقد كان واضحا في أذهان كل من سمع تصريح يسوع بأنه وبدون أي شـك أعلن أنه اللـه. وهكذا فإن ليون موريس عميد كلية رولي للاهوت فـي ملبـورن يقول "لـم يكن بإمكان اليهود إلا أن يعتبروا تصريحات يسوع تجديفا، ولـهذا فقد أرادوا أن يوقعوا الحكم عليه بأيديهم. نصت الشريعة على أن عقاب المجدف هـو الرجم (لاويين٢٤:١٦). لكن هؤلاء الناس كانوا نافذي الصبر بحيث لـم يريدوا أن يتبعوا الإجراءات الصحيحة التي يتطلبها الناموس في مثل هذه الحالـة. لـم يعدوا وثيقة اتهام رسمية في حقه لكي تتمكن السلطات مـن اتخـاذ الإجـراءات المناسبة. بسبب غضبهم كانوا مستعدين أن يكونوا الحكام والمنفذين للحكم فـي آن واحد."

تعرض يسوع للتهديد بالرجم بسبب "التجديف." من المؤكد أن اليهود فهمـوا تعليمه، ولكن قد نسأل: هل توقفوا للنظر فيما إذا كانت أقواله صحيحة أم لا؟

تحدث يسوع دائما عن نفسه على أنه واحد في الجوهر والطبيعة مع اللـه. وأكد بكل جرأة "لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضا" (يوحنا ١٩:٨)؛ وقال "الذي يراني يرى الذي أرسلني" (يوحنا ٤٥:١٢)؛ وقال "الذي يبغضني يـبغض أبـي أيـضا" (يوحنا ٢٣:١٥) وقال "لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. مـن لا يكـرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله" (يوحنا ٢٣:٥). تشير هذه الآيات وغيرها إلى أن يسوع نظر إلى نفسه على أنه اكثر من مجرد إنسان، بل إنه كان ينظر إلى نفسه على أنه مساو للـه. أما الذين يقولون بأن يسوع لـم يكن إلا إنسانا ذا علاقة أكثر حميمية مع اللـه منا، فإن عليهم أن يفكروا في قول يسوع "لكي يكـرم الجميـع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله."

بينما كنت ألقي محاضرة في قسم الآداب في جامعة فرجينيا الغربية، قاطعني أحد الأساتذة قائلا بأن الإنجيل الوحيد الذي أعلن فيه المسيح بأنه اللـه هو إنجيـل يوحنا، وقد كان آخر الأناجيل التي دونت. وثـم أكد بأن إنجيل مرقس، وهو أول إنجيل كتب، لـم يذكر ولو مرة واحدة أن يسوع قال أنه اللـه. وكان من الواضح أن هذا الأستاذ لـم يقرأ إنجيل مرقس، أو أنه لـم ينتبه لما قرأ.

وللإجابة على تعليقه، فتحت إنجيل مرقس حيث صرح المسيح أنه قادر على مغفرة الخطايا. "فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج: يا بني مغفورة لك خطاياك" (مرقس ٢:٥؛ أنظر أيضا لوقا ٤٨:٧-٥٠). إن مغفرة الخطايا حسب الناموس اليهودي أمر مقصور على اللـه وحده، ويوضح ذلك إشعياء ٢٥:٤٣. لـهذا قال الكتبة "لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف. من يقدر أن يغفر خطايا إلا اللـه وحـده" (مرقس ٧:٢). فسأل يسوع "أيما أيسر أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم واحمل سريرك وامش." (مرقس ٩:٢)

يقول ويكلف في تعليقه على هذه النقطة في كتابه التفسيري للكتاب المقـدس: "إنه سؤال لا رد له. فالجملتان على نفس الدرجة من سهولة النطق، ولكن النطق بإحداهما مع عمل مرافق يتطلب سلطانا إلهيا. فالشخص المحتال أو المزيف الذي يسعى إلى عدم انكشاف أمره يجد الجملة الأولى أسهل. لكن يسوع شفى الرجل من مرضه لكي يعلم الموجودين أن له سلطان معالجة سبب المرض." لـهذا أتهـم القادة الدينيون يسوع بالتجديف.يقول لويس سبري شيفر بأنه "لـيس لأحـد علـى الأرض السلطان أو الحق في مغفرة الخطية. لا يـستطيع أن يغفـر الخطايـا إلا الشخص الذي ارتكبت هذه الخطايا ضده. عندما منح يسوع الغفران للمفلوج، لـم يمارس خيارا متوفرا لدى الناس. فبما أن اللـه وحده هو الذي يغفر الخطايا، فإن يسوع أثبت بشكل قطعي، بغفرانه للخطايا، أنه اللـه."

لقد أزعجني هذا المفهوم لمغفرة الخطايا لمدة طويلة لأنني لـم أفهمه. كنـت في يوم ألقي محاضرة فلسفية حين سئلت سؤالا حول ألوهية المسيح، فاستـشهدت بالآيات السابقة من إنجيل مرقس. ولقد تحدى أحدهم استنتاجي بأن مغفرة المسيح للخطايا تثبت ألوهيته. قال انه بإمكانه أن يغفر لشخص ما دون أن يثبت ذلك أنـه اللـه.

عندما فكرت بما قاله ذلك التلميذ، عرفت السبب الذي أثار في القادة الدينيين ردود فعل قوية ضد المسيح. أجل. بإمكان المرء أن يقول: "أسامحك،" لكن لا يحق لأحد أن يسامح إلا الشخص الذي ارتكبت الإساءة أو الخطية ضده. لقـد أخطـأ المفلوج ضد اللـه الآب وضد يسوع الذي قال بسلطانه الخـاص "مغفـورة لـك خطاياك." أجل، إننا نستطيع أن نغفر الإساءات الموجهة إلينا، لكننا لا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نغفر الخطايا الموجهة إلى اللـه، فله وحده أن يغفرها. وهذا ما فعله يسوع.

فلا عجب إذا أن يبدي اليهود رد فعل قوي عندما يصرح نجار من الناصرة بمثل هذا التصريح الجريء. إن قدرة يسوع على مغفرة الخطايـا مثـال مـذهل لممارسته خيارا يخص اللـه وحده.

لدينا أيضا حادثة محاكمة يسوع في إنجيل مـرقس (١٤:٦٠-٦٤). تـشير وقائع المحاكمة بكل وضوح إلى مزاعم يسوع بالألوهية. "فقام رئيس الكهنة فـي الوسط وسأل يسوع قائلا: أما تجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك؟ أما هـو فكان ساكتا ولـم يجب بشيء. فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له: أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع أنا هو. وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القـوة وآتيا في سحاب السماء. فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال: ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ قد سمعتم التجاديف. ما رأيكم؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت."

رفض يسوع في البداية أن يجيب، فوضعه رئيس الكهنة تحت القسم. ولـهذا اضطر يسوع أن يجيب (وأنا سعيد أنه فعل ذلك). فعندما سئل: "أأنت المسيح ابـن

المبارك". أجاب: "أنا هو". إن تحليلا لما قاله يسوع يظهر أنه قال بأنـه ١) ابـن المبارك (اللـه)، ٢) والشخص الذي يجلس عن يمين القوة، ٣) وابن الإنسان الذي سيأتي على سحاب السماء.

إن كلا من هذه التأكيدات الثلاثة إشارة واضحة إلى كونه المسيا المنتظـر. واجتماعها كلها معا ذو دلالة كبيرة. لقد فهم أعضاء المحكمة اليهودية، السنهدريم، هذه الأمور الثلاثة، فقام رئيسهم بتمزيق ثيابه قائلا "ما حاجتنا بعد إلى شهود؟" فقد سمعوا مزاعمه منه شخصيا. فقد أدانته كلمات فمه.

يوضح روبرت أندرسون قائلا: "لا يوجد برهان تثبيتي أكثر توكيدا وإقناعـا من برهان يقدمه شهود معادون. لقد ثبتت حقيقة إدعاء الرب بالألوهية بما قام بـه أعداؤه. علينا أن نتذكر أن اليهود لـم يكونوا قبيلة من المتوحشين الجهلة، لكـنهم كانوا شعبا مثقفا على درجة كبيرة من التدين. ولقد تـم إصدار حكم الموت عليـه بالإجماع بناء على إدانته على هذه التهمة. لـم يمتنع أحد عن التصويت في هـذا المجلس الوطني الهام المؤلف من أبرز القادة اليهود بمن فيهم أشخاص من نوعية غمالائيل وتلميذه العظيم شاول الطرسوسي."

من الواضح إذا أن هذه هي الشهادة التي أراد يسوع أن يقدمها عـن نفـسه. ونحن نرى أيضا بأن اليهود فهموا من جوابه ادعاءه بكونه اللـه. كـانوا أمـام خيارين، فإما أن تكون تصريحاته وتأكيداته تجديفا، وإما أن يكون اللـه. كانـت المسألة في غاية الوضوح أمام قضاته حتى أنهم صلبوه ثـم سخروا منه لأنه "قد اتكل على اللـه.. لأنه قال أنا ابن اللـه" (متى ٢٧:٤٣).

يشرح لنا هـ. ب. سويتي دلالة تمزيق رئيس الكهنة لثيابه بقوله: "لقد حرم الناموس على رئيس الكهنة أن يمزق ثيابه بسبب المـشاكل الشخـصية (لاويـين ١٠:٦، ٢١:١٠)، لكن كانت الأعراف والعادات تملي عليه أن يعبر بهذه الطريقة

عن استهجانه الشديد لأي تجديف يعبر عنه في حضوره. ولقد أدى هذا في نفـس الوقت إلى ارتياح القاضي الذي كان في وضع حرج. فلو لـم يتم تقـديم برهـان ملموس ضده لأصبح من الضروري إبطال التهمة. لكن السجين المتهم هنا جـرم نفسه."

وهكذا فإننا نرى أن هذه المحاكمة غير عادية كما يقول المحـامي إيـروين لنتون: "فهذه المحاكمة فريدة بـين محاكمـات المجـرمين، حيـث إن القـضية المطروحة ليست أعمال المتهم وإنما هويته. إن التهمة الموجهة للمسيح واعترافه بها أو شهادته ومثوله أمام المحكمة، وتحقيقات الحاكم الروماني معه، والكتابـات أو النقوش على صليبه، تتعلق كلها بمسألة هوية المسيح الحقيقية وكرامتـه. مـاذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟"

يقول القاضي المشهور جينور في معالجته لموضوع محاكمة يـسوع بـأن التهمة الوحيدة الموجهة له أمام السنهدريم هي التجديف. يقول: "من الواضح مـن روايات الأناجيل الأربعة بأن التهمة المزعومة التي حوكم يسوع بسببها وأدين بها هي التجديف. فقد كان يدعي بأن لديه قوة غير طبيعية، الأمر الذي يعتبر تجـديفا بالنسبة لإنسان" (يوحنا ١٠:٣٣). (هذه إشارة جينور إلى أن يسوع "جعـل نفـسه اللـه"، وليس لما قاله عن الهيكل). يحاكم الناس في معظم المحاكمات علـى مـا فعلوه، ولكن هذا الأمر لـم ينطبق على محاكمة المسيح. فلقد حوكم يسوع بـسبب هويته.

يجب أن تكون محاكمة يسوع دليلا كافيا مقنعا على أنه اعتـرف بألوهيتـه. فقضاته يشهدون بذلك. ولقد أقر أعداؤه حتى في يوم صلبه أنه زعم أنه اللـه الذي جاء في الجسد. وكذلك رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون به مع الكتبة والشيوخ حيث قالوا: "خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها. إن كـان هـو ملـك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به. قد اتكل على اللـه، فلينقـذه الآن إن أراده، لأنه قال أنا ابن اللـه" (متى ٢٧:٤١-٤٣).

الفصل الثاني

رب أم كذاب أم مجنون؟

إن أقوال يسوع الواضحة عن كونه اللـه لا تتـرك أي مجـال لخدعـة (الشكوكيين) الشائعة بقولهم إن يسوع مجرد داعية أخلاقي أو نبي أو فيلسوف عام تعاليم عميقة. فغالبا ما يقدمون لنا هذا الطرح على أنه الخلاصة الوحيدة المقبولـة لدى العلماء الباحثين، أو النتيجة الواضحة لعملية التحليل أو التفكيـر المنطقـي. والمشكلة هي أن أناسا كثيرون يهزون رؤوسـهم موافقـة ولا يـرون المغالطـة والخداع في مثل هذا التفكير.

بالنسبة ليسوع، فقد كان رأي الناس في هويته ذا أهمية أساسـية. بحيـث لا يستطيع أحد أن يقرأ ما قاله يسوع عن نفسه وما زعمه عن ذاته ويخلص إلى أنه كان مجرد داعية أخلاقي أو نبي. فهذا الخيار غير متوفر لنا. ولـم يكـن قـصد يسوع أن يكون الأمر هكذا.

لقد فهم سي. أس. لويس أستاذ الفلسفة في جامعة كمبـردج هـذه القـضية بوضوح. كتب هذا الفيلسوف الذي كان لا أدريا (اللاأدري: هو من يعتقـد بـأن وجود اللـه وطبيعته وأصل الكون أمور لا سبيل إلى معرفتها) في يوم ما: "إنـي أحاول هنا أن أمنع أي شخص من ترداد ذلك القول الغبي الذي نسمعه غالبا: "أنـا مستعد أن أقبل بيسوع كمعلم أخلاقي عظيم، ولكني لا أقبله كاللـه." فهـذا هـو الشيء الوحيد الذي يجب ألا نقوله. فإن شخصا كان مجرد إنسان وقال مثلما قـال لا يمكن أن يكون معلما أخلاقيا عظيما. فإمـا أن يكـون مجنونـا، أو أن يكـون

الشيطان. عليك أن تختار. فإما أن يكون هذا الشخص هو ابن اللـه حقا، وإما أن يكون رجلا مجنونا أو شيئا أسوأ."

ثـم يضيف سي. أس. لويس قائلا: "يمكنك أن تصنفه علـى أنـه شـخص أحمـق، أو أن تبصق في وجهه وتقتله كشيطان أو أن تسقط عند قدميه قائلا ربي وإلهي، لكن لنبتعد عن التظاهر الأجوف باحترامه بقولنا إنه مجرد معلم أخلاقـي بشري عظيم. لـم يترك هذا الخيار لنا، ولـم يقصد ذلك."

كتب ف. جي. أ. هورت الذي أمضى ثـماني وعشرين سنة فـي دراسـة نقدية للعهد الجديد: "لقد كانـت كلماته من أولها لآخرها تصريحات حول نفـسه، ولا معنى لها كتصريحات مجردة من الحق صادرة عنه كنبي أو وسيط للـوحي. انزع شخص المسيح كالموضوع الأساسي (مع أنه ليس الموضوع المطلق) لكـل جملة قالها، ولن يكون لها أي معنى."

يقول كينيث لاتوريـت أستاذ التاريخ المسيحي في جامعـة يـل: "ليـسـت تـعاليم يسوع هي التي تجعله على هذه الدرجة الكبيرة من التميز والعظمـة مـع أنها تكفي أن تجعله مميزا. ولكنه مزيج من التعاليم والرجـل نفـسه. ولا يمكـن فصلهما". ويخلص لاتوريـت إلى القول "لابد أن يكون واضحا لكل قارئ متفكـر للإنجيل بأن يسوع اعتبر نفسه وتعاليمه وحدة واحدة لا تنفصم. كان معلما عظيما، لكنه كان أكثر من ذلك. كانـت تعاليمه حول ملكوت اللـه، والسلوك الإنـساني، واللـه مهمة، لكن لا يمكن فصلها عنه دون إبطالها من وجهة نظره."

لقد أعلن يسوع أنه اللـه. ولـم يترك أي مجال لخيار آخر. فإما أن يكـون زعمه صحيحا أو خاطئا، ولـهذا يجب علينا أن نأخذه مأخذ الجـد. إن الـسؤال الذي وجهه لتلاميذه "وأنتم من تقولون إني أنا؟" (متى ١٦:١٥) ما زال قائما، وله عدة إجابات محتملة.

أولا لنفترض إن ادعاء يسوع بأنه اللـه كان كاذبا. فإذا كان كاذبا، فإننا أمام خيارين لا ثالث لهما. فإما أن يكون قد عرف أنه كاذب وإما أنه لـم يعرف ذلك. وسندرس كلا منهما ونفحص الأدلة والبراهين المقدمة.

هل كان كاذبا؟

إذا كان المسيح يعرف بأنه ليس اللـه كما زعم، فإنه كان يكـذب متعمـدا خداع أتباعه. وإذا كان كاذبا فهذا يعني أنه منافق لأنه طلـب مـن الآخـرين أن يكونوا صادقين أمناء مهما كلفهم الأمر، بينما ادعى كذبة عظيمة وعاشها. كما أنه كان شيطانا لأنه طلب إلى الآخرين أن يؤمنـوا بـه لتـأمين مـصيرهم الأبـدي والحصول على الحياة الأبدية. فإذا كان عاجزا عن إثبات مزاعمه ودعمها، وكان يعرف ذلك، فلقد كان شريرا، بل كان على درجة لا توصف من الشر. ولابـد أن يكون أحمق لأن مزاعمه عن كونه اللـه هي التي قادته إلى الصلب.

سيقول كثيرون بأن يسوع كان معلما أخلاقيا صالحا. لنكن واقعيين. كيـف يمكن أن يكون معلما أخلاقيا صالحا وهو يتعمد تضليل الناس في أهم نقطـة مـن تعاليمه، ألا وهي هويته؟

إذا كان الأمر كذلك، فإن الاستنتاج المنطقي أنه كان كاذبا متعمـدا. ولكـن نظرتنا هذه إلى يسوع لا تنسجم مع ما نعرفه عنه أو عن نتائج حياته وتعاليمـه. فحيثما كرز باسم المسيح، حدث تغيير إيجابي في حياة الناس والشعوب، وتحـول اللصوص إلى أشخاص أمناء، وشفي مدمنو الخمر، وأصبح الأفـراد البغيـضون قنوات للمحبة، وأصبح الظالمون عادلين.

كتب وليام ليكي، وهو أحد أعظم مؤرخي بريطانيا وخصم لـدود للمـسيحية المنظمة: "لقد قدمت المسيحية وحدها للعالـم شخصية مثالية ألهمت قلوب النـاس

بمحبة ملتهبة، على الرغم من كل التغييرات التي حصلت على مدى الثمانية عشر قرنا الماضية؛ وأظهرت قدرتها على التعامل مع كل العصور، والأمم، والأمزجة المختلفة، والظروف؛ ولـم تكن أفضل نمط للفضيلة فحسب، ولكنها كانت أيـضا أقوى حافز على ممارستها. إن السجل البسيط للسنوات الثلاثة من حيـاة يـسوع النشطة ساهم في تجديد الجنس البشري وتهذيبه أكثر من كل بحوث الفلاسفة وكل نصائح علماء الأخلاق."

يقول المؤرخ فيليب شاف: "إذا لـم تكن هذه الشهادة صحيحة، فلابـد أنهـا تجديف صريح أو جنون ولا يمكن للفرضية الأولى أن تصمد أمام نقـاء يـسوع الروحي وجلاله اللذين يطلان من كل كلمة من كلماته وكل عمـل مـن أعمالـه ويلقيان اعترافا وقبولا عالميين. إن خداع النفس في مسألة على هذه الدرجة مـن الخطورة وبعقلية واضحة وحكيمة بكل المقاييس وكل الوجوه هي أيضا مسألة غير مطروحة إطلاقا. فكيف يمكن لشخص متحمس مجنون ألا يفقد توازنه العقلي ولو مرة واحدة، وأن يبحر بهدوء كبير فوق بحار المشاكل والاضطهادات، ويعلو فوقها كما تعلو الشمس فوق الغيوم، ويرد علـى أعـوص الأسـئلة وأعقـدها بـأحكم الإجابات، ويتنبأ بكل هدوء عن موته على الصليب وقيامته فـي اليـوم الثالـث وانسكاب الروح القدس وتأسيس الكنيسة ودمار أورشليم - وهي نبوءات تـمـت حرفيـا؟ إن شخصية على هذا النحو من الأصالة، والكمال، والثبات، والانسجام، والإنسانية رغم سموه عن المستوى البشري، أن تكون محتالة أو وهما."

يعطي شاف رأيا مقنعا ضد القول بأن المسيح كاذب: "كيف يمكـن، باسـم المنطق والعقل والخبرة، لمحتال مخادع أناني مجرد من الأخلاق أن يخترع أنقـى وأنبل شخصية عرفها التاريخ في جو كامل من الحقيقة والواقع، ويحافظ عليهـا ثابتة منسجمة منذ البداية حتى النهاية؟ كيف أمكنه أن يخترع وينفذ بنجـاح خطـة مفيدة فريدة، خطة لها أهمية أخلاقية كبيرة سامية نبيلة وأن يضحي مـن أجلهـا بحياته في وجه أقصى حملات الحقد والكراهية من شعبه وعصره؟"

إذا أراد يسوع من الناس أن يتبعوه ويؤمنوا به كالاـ ـه، فلماذا توجـ ـه للشـ ـعب اليهودي؟ لماذا يذهب بصفته نجارا ناصريا إلى بلد صغير من حيـث الحجم وعدد السكان الذين يتمسكون بإيمانهم بوحدة الاـه التي لا تقبل الانقـسام؟ لماذا لـم يذهب إلى مصر أو حتى إلى اليونان حيث كانوا يؤمنون بآلهة مختلفـة ومظاهر مختلفة لهذه الآلهة؟

لا يمكن لشخص عاش كما عاش يسوع، وعلم كما علم يسوع، ومات كمـا مات يسوع، أن يكون كاذبا. هل هنالك بدائل أو خيارات أخرى؟

هل كان مجنونا؟

إذا كان من غير المعقول أن يكون كاذبا، أفلا يمكن أن يكون قد اعتقد فعـلا أنه الاـه، مع كونه مخطئا في اعتقاده؟ فمن الممكن أن يكـون المـرء مخلـصا وخاطئا في نفس الوقـت لكن علينا أن نتذكر بأن اعتقاد شخص بأنه الاـه خاصة في حضارة تؤمن بوحدانية الاـه بقوة والمبادرة إلى إخبار الآخرين بأن مصيرهم الأبدي يعتمد على الإيمان فيه، ليس مجرد شطحة قصيرة مـن شـطحات الـوهم والخيال، ولكنها أفكار شخص مجنون بكل ما في هذه الكلمة من معنى. فهل كـان يسوع مثل هذا الشخص؟

إن اعتقاد شخص بأنه الاـه يشبه اعتقاد شخص اليوم بأنه نابليون. سـيكون شخصا مخدوعا يضل نفسه، وسينتهي به الأمر إلى أن يحجر عليه لئلا يؤذي نفسه أو غيره. غير أننا لا نلاحظ عليه التصرفات الشاذة وعدم التوازن، وهي الأمـور التي ترافق عادة الشخص المشوش المخبول. سيكون الاتزان ورباطة الجأش اللذان أظهرهما أمرا مدهشا حقا لو كان بالفعل مجنونا.

يصف نويز وكولب في أحد بحوثهما النفسية الشخص المصاب بالفـصام أو انقسام الشخصية على أنه أكثر ميلا للاسترسال في الخيال والحلم من الواقعيـة. يرغب الفصامي أن يهرب من عالـم الواقع. لنواجه الأمر صـراحة، إن إدعـاء المرء بأنه اللـه لابد أن يكون انسحابا من الواقع وهروبا منه.

من الصعب علينا أن نتصور، في ضوء ما نعرفه عن يسوع، أنه كان مختل العقل. فنحن أمام إنسان نطق بأعمق الأقوال والتعاليم المدونة. ولقد حررت تعاليمه أفرادا كثيرين من القيود الذهنية. يقدم لنا كلارك هـ. بينوك هذا السؤال: "هل كان واهما مخدوعا بالنسبة لعظمته، مصابا بجنون العظمة، مـضلا غيـر متعمـد، فصاميا؟ إن عمق تعاليمه والمهارة التي قدمـت بها لا تثبتان إلا رجاحـة عقلـه الكاملة. فيا ليتنا كنا عاقلين مثله!" حدثني أحد الطلاب الذين يدرسون في جامعـة كاليفورنيا بأن أستاذ علم النفس قال في إحدى محاضراته "بأن كل مـا يحتـاج أن يفعله هو أن يفتح الكتاب المقدس ويقرأ أجزاء من تعاليم يـسوع علـى مـسامع مرضاه حتى يشفوا. هذا هو كل ما يحتاجونه من الإرشاد."

يقول طبيب الأمراض النفسية جي. ت. فيشر: "لو أخذت المجمـوع الكلـي للمقالات الموثوقة المعتمدة التي كتبها أكثر أطباء النفس وعلمائـه كفـاءة حـول موضوع الصحة العقلية، لو جمعناها معا وهذبناها ونقحناها ونزعنا منها الحـشو الزائد، وأخذنا هذه المقتطفات الخالصة المحضة من المعرفة العلمية التـي عبـر عنها أقدر الشعراء فإننا سنحصل على محصلة أو تلخيص بشع وناقص لموعظـة يسوع على الجبل. وإذا قارناها بها فإن الفرق سيظهر كبيرا وشاسعا وفاضحا. لقد حمل المسيحيون بين أيديهم على مدى ألفي عام الحل الكامل والجواب الشافي لكل أشواق الناس القلقة العقيمة. وهنا نجد مخطط الحياة البشرية الناجحـة الممزوجـة بالتفاؤل والصحة العقلية والاكتفاء."

يقول سي. إس. لويس: "إن هنالك صعوبة تاريخية كبيرة فـي إعطـاء أي تفسير أيسر وأسهل من التفسير المسيحي لحياة يسوع وتعاليمه وتأثيره. فالفرق بين عمق تعاليمه الأخلاقية ودلالتها على الصحة العقلية وبين جنون العظمة الذي لابد أنه يكمن خلف تعاليمه اللاهوتية لا يمكن تفسيره تفسيرا مقنعا إلا إذا كـان هـو اللـه بالفعل. وهكذا فإن الفرضيات أو النظريات غير المسيحية تتسم كلها بارتباك قلق كبير."

يقول فيليب شاف: "هل يمكن أن تكون مثل هذه العقليـة الـصافية صـفاء السماء، المنشطة كهواء الجبل، الحادة والخارقة كالسيف، والتي تتـسم بالـصحة والحيوية الكاملتين، المستعدة والمتأهبة والمتزنة دائما ـ عرضة لخـداع جـذري وخطير للغاية فيما يتعلق بهويتها ومهمتها؟ إن هذا خيال مناف للطبيعة والعقل.

هل كان هو الرب؟

لا أستطيع شخصيا أن أستنتج بأن يسوع كان كاذبا أو مجنونا. البديل الوحيد هو أنه كان المسيح ابن اللـه كما زعم. عندما أناقش هذا الموضوع مع أشخاص يهود، فإن ردود فعل معظمهم مثيرة للاهتمام. فهم يردون عادة بقولهم إن يـسوع معلما أخلاقيا مستقيما أو قائدا دينيا أو رجلا صالحا أو نبيا. وعندما أحدثهم عـن مزاعم يسوع حول السؤال الثلاثي (كاذب أم مجنون أم رب). حين أسألهم مـا إذا كانوا يعتقدون أن يسوع كان كاذبا، فإنهم يجيبون بـ "لا" حادة. وعندها أسأل "هل تعتقدون أنه كان مجنونا؟" ويأتي جوابهم "بالطبع لا." فأسأل:"هـل تؤمنـون أنـه اللـه؟" وقبل أن ألتقط أنفاسي، فإن جوابهم يأتي سريعا "بالتأكيد لا." غير أنـه لا يوجد أمامنا إلا هذه الخيارات الثلاثة.

ليسـت القضية هنا هي أي خيار منها ممكن، فمن الواضح أنها كلها ممكنة. لكن السؤال هو "ما هو الأرجح؟" يجب ألا يكون قرارك أو استنتاجك حول هويـة يسوع مسألة تستخف بها. لا تستطيع أن تحكم عليه أنه معلم أخلاقي عظيم وتضعه على الرف. فهذا خيار غير شرعي وغير مطروح. فإما أن يكون كاذبا أو مجنونا، أو أن يكون الرب واللـه. ويجب أن تختار أحدها. يقول الرسول يوحنا: "وأمـا هذه فقد كتبـت لتؤمنوا أن يسوع المسيح ابن اللـه" وأهم من ذلك" ولكي تكـون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يوحنا ٢٠:٣١). من الواضح أن الدليل هو في صـالح كون المسيح ربا. غير أن بعض الناس يرفضون هـذا الـدليل الواضـح بـسبب المدلولات المتضمنة في ذلك. فهم لا يريـدون أن يواجهـوا المـسؤوليات التـي يفرضها عليهم إيمانهم به ربا.

الفصل الثالث

ماذا عن العلم؟

يحاول أشخاص كثيرون أن يتجنبوا أي تكريس شخصي للمسيح وذلك تجاوبا مع الفرضية التي تقول بأنك إذا لـم تستطع أن تبرهن على شيء علمُيا، فإنه غير صحيح أو غير جدير بالقبول. وبما أن المرء لا يستطيع أن يثبت ألوهية يسوع (أو قيامته) بطريقة علمية مخبرية، فإن الناس في القرن العشرين أكثر حكمة مـن أن يقبلوا المسيح مخلصا أو أن يؤمنوا بقيامته.

غالبا ما يواجهني هذا التحدي في محاضرات التاريخ أو الفلسفة التي أعطيها. "هل تستطيع أن تبرهن ذلك علميا؟" وعادة أقول "لا" فأنا لست عالما." وعندها يأخذ بعض الطلبة يبتسمون ابتسامات ذات معنى. وأسمع بعضهم يقول "لا تحدثني عنه إذا" أو "أرأيت، إنه أمر يجب أن تقبله كله بالإيمان" (والقصد هنـا هـو الإيمـان الأعمى).

سافرت مؤخرا بالطائرة إلى بوسطن، وتحدثت أثناء الرحلة إلـى المـسافر المجاور لي عما يدعوني شخصيا إلى الإيمان بأن المسيح هو نفس ما قالـه عـن نفسه. كان الطيار يسير بين الركاب يحيي المسافرين، فسمع جزءا مـن الحـوار بيننا، فقال "لديك مشكلة هنا". فسألته "وماهي؟" أجاب "لا تستطيع أن تثبـت ذلـك علميا."

لقد انحدرت العقلية البشرية الحديثة إلى مستوى مذهل. فلقد توصـلنا إلـى الاقتناع بأن كل ما لا نستطيع برهنته علميا لا يمكن أن يكون صحيحا وهذا شيء غير صحيح! لأننا إذا قبلنا بهذه الفرضية، فإننا نواجه مشكلة في برهنة أي شـيء

حول أي شخص أو حدث في التاريخ. إننا نحتاج أن نفهم الفرق بين الدليل العلمي وما أسميه دليلا قانونيا ـ تاريخيـا. وسأشرح الفرق بينهما.

يعتمد الدليل العلمي على إثبات صحة شيء بتكرار حـدوث الحـدث فـي حضور الشخص الذي يشكك بصحته. يجب توفر بيئة في ظروف مسيطر عليها، حيث تدون الملاحظات وتسجل المعلومات الأولية ويتم التأكد من صحة الفرضـية تجريبيا.

أما الطريقة العلمية، مهما كان تعريفنا لها، فترتبط بقياس الظواهر والاختبار العلمي أو الملاحظة المتكررة. يقول الدكتور جيمس ب. كونانت، الرئيس الـسابق لجامعة هارفرد: "العلم سلسلة متداخلة متشابكة من التصورات والنظم التـصورية التي نشأت نتيجة للتجريب العلمي والملاحظة، وتثمر عن مزيـد مـن التجريـب العلمي والملاحظات."

إن امتحان صحة أية فرضية بإجراء تجارب في ظروف مسيطر عليها هـو أحد الطرق المستخدمة في الأسلوب العلمي الحديث. فإذا زعم أحـدهم مـثلا أن الخشب لا يطفو على الماء، فإننا نصطحبه إلى المطبخ حيث نضع كمية كبيرة من الماء في وعاء ونسقط فيه قطعة من الخشب. وعندها سيرى بنفـسه أن الخـشب يطفو.

لكن لو كان الأسلوب العلمي هو الأسلوب الوحيد لبرهنة أي شيء، فإنك لا تستطيع أن تبرهن بأنك حضرت الحصة الأولى أو تلقيت المحاضرة الأولى فـي جامعتك اليوم، أو أنك تناولت طعام الغذاء. فليست هنالك وسيلة ممكنة لتكرار تلك الحوادث في وضع مسيطر عليه.

يوجد لدينا ما يسمى البرهان التاريخي القانوني الذي يعتمد على إظهار صحة شيء بشكل لا يتطرق إليه شك. أي أنه يتم التوصل إلى قرار على أساس وزن الأدلة المتوفرة. ويعني ذلك أنه لا يوجد أساس منطقي معقول للشك في هذا القرار. ويعتمد على ثلاثة أنواع من الشهادة: الشهادة الشفوية، والشهادة المكتوبة، والأدلة المادية (كالمسدس أو الطلقة أو دفتر الملاحظات).

تستطيع باستخدامك الأسلوب المنطقي في تقرير ما حدث أن تبرهن بشكل لا يتسرب إليه شك معقول أنك كنت في غرفة الصف هذا الصباح: فقد رآك أصدقاؤك. كما أن لديك الملاحظات التي دونتها، بالإضافة إلى أن الأستاذ يتذكرك.

إن استخدام الأسلوب العلمي مقصور على برهنة الأشياء التي يمكن تكرارها، وهي غير مناسبة للبرهنة أو عدم البرهنة بخصوص مسائل كثيرة حول شخص أو حدث في التاريخ. ليست الطريقة العلمية مناسبة للإجابة عن أسئلة مثل "هل عاش جورج واشنطن؟" أو "هل كان مارتن لوثر كنغ زعيما مدافعا عن الحقوق المدنية؟" أو "من هو يسوع الناصري؟" أو "هل كان روبرت كينيدي النائب العام للولايات المتحدة الأميركية؟" أو "هل قام يسوع الناصري من بين الأموات؟" فهذه الأسئلة خارج نطاق البرهان العلمي، ونحتاج إلى أن نضعها في نطاق البرهان القانوني الشرعي.

أي أن الطريقة العلمية التي تعتمد على الملاحظة وجمع المعلومات الأولية والافتراض والاستنتاج والإثبات التجريبي لإيجاد أي شذوذ في الطبيعة، وتفسيره لا تحمل لنا الجواب النهائي على أسئلة مثل "هل تستطيع برهنة قيامة يسوع؟" أو "هل تستطيع البرهنة على أن يسوع هو ابن الله؟" عندما يعتمد الناس على الأسلوب التاريخي القانوني، فإنهم يحتاجون إلى فحص مصداقية الشهادات الموجودة بين أيديهم.

لقد عرفت من اختباري الشخصي بأن الإيمان المسيحي ليس إيمانـا أعمـى جاهلا، ولكنه إيمان ذكي. فعندما يطلب إلى أحد الشخصيات في الكتاب المقدس أن يمارس الإيمان، فإنه يتحدث عن الإيمان الذكي.

قال يسوع "وتعرفون الحق" ولـم يقل "تتجاهلون الحق" (يوحنا ٣٢:٨). سئل المسيح "ما هي أعظم الوصايا؟" فأجاب "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كـل فكرك." إن مشكلة معظم الناس هي أنه يبدو أنهم يوقفون قلوبهم عن العمل.

ولـهذا فإن الحقائق المتعلقة بالمسيح لا تصل إلى عقولهم أبدا. لقد أعطانـا اللـه عقلا جدده الروح القدس ليمكننا من معرفـة اللـه، وقلبـا لنحبـه وإرادة لنختاره. ويجب علينا أن نعمل ضمن هذه النواحي الثلاثة لنتمتع بعلاقة كاملة مـع اللـه ونمجده.

بالنسبة لي شخصيا، لا أستطيع أن أجد فرحا في ما رفضه عقلي. فقد خلـق قلبي وعقلي ليعملا معا بانسجام. لـم يطلب اللـه أبدا إلى أحد أن ينتحـر عقليـا بالإيمان بيسوع المسيح مخلصا وربا.

سنتفحص في الفـصول الأربعـة التاليـة الأدلـة علـى صـحة الوثـائق والمخطوطات ومصداقية الشهادة الشفوية لروايات شهود العيان عن يسوع.

الفصل الرابع

هل يمكن الاعتماد على سجلات الأسفار الكتابية؟

العهد الجديد هو المصدر التاريخي الرئيسي للمعلومات المتوفرة لـدينا عـن يسوع. ولـهذا فقد هاجم كثير من النقاد في القرنين التاسـع عـشر والعـشرين مصداقية الوثائق الكتابية. ويبدو أن هناك شلالا من الاتهامات المستمرة التـي لا يوجد لها أساس تاريخي أو دحضتها الاكتشافات الأثرية والبحوث.

بينما كنت أحاضر في جامعة أريزونا الحكومية، اقترب مني أستاذ جـامعي بصحبة طلاب الفصل الذي يعلمه وقال لي بعد "خطاب حر" في الهواء الطلق: "يا سيد ماكدويل، أنت تبني كل مزاعمك حول المسيح على ثقة ثانوية عتيقة عفا عليها الزمن. لقد برهنت اليوم لطلابي أن العهد الجديد كتب بعد المسيح بمدة طويلة وأنه لا يمكن أن يكون ما ورد فيه دقيقا." أجبته "إن آراءك واستنتاجاتك حـول العهـد الجديد عتيقة، ولقد عفا عليها الزمن منذ ٢٥ عاما." لقد اعتمد ذلك الأستاذ الجامعي في آرائه حول الوثائق المختصة بيسوع على استنتاجات ناقد ألماني اسمه ف. س. بور. افترض بور أن معظم أسفار العهد الجديد لـم تكتب إلا في مرحلة متـأخرة من القرن الثاني. وخلص إلى أن هذه الكتابات أخذت بشكل أساسي من خرافـات وأساطير نشأت خلال الفترة الطويلة ما بين حياة يسوع والوقت الذي دونت فيـه هذه الروايات.

بحلول القرن العشرين أكدت الحفريات الأثرية والاكتشافات صحة وثـائق العهد الجديد ودقتها. مخطوطات ورق البردي المبكرة (مخطوطة جـون رايلنـد، ١٣٠ ب. م.، مخطوطة تشستر بيتي، ١٥٥ م. ومخطوطة بودمر الثانيـة، ٢٠٠ ب. م.) جسرت الهوة بين زمن المسيح والمخطوطات التي تعود إلى وقت لاحق.

يقول ميلر باروز وهو أستاذ من جامعة يل: "وهنالك نتيجة أخرى نشأت عن مقارنة العهد الجديد المدون باللغة اليونانية، بلغة المخطوطات الجديـدة المكتـشفة (مخطوطات البردي) أدت إلى إزدياد ثقتنا في النقل الدقيق لنصوص العهد الجديد نفسه." لقد زادت هذه الوقائع المكتشفة ثقة الباحثين في صـحة الكتـاب المقـدس ومصداقيته.

كتب ويليام أولبرايت الذي كان أعظم عالـم آثار كتـابي عرفـه العالـم: "نستطيع أن نقول بكل ثقة بأنه لـم يعد يوجد أي أساس ثابت لإرجاع تاريخ تدوين العهد الجديد إلى أبعد من ٨٠ ب.م. أي قبل مدة جيلين كاملين من التاريخ الـذي يضعه النقاد الأكثر تشددا للعهد الجديد وهو بين ١٣٠-١٥٠م." ولقد أعاد تأكيـد موقفه في مقابلة أجرتها معه مجلة "المسيحية اليوم" قال: "في رأيي أن كل سفر من أسفار العهد الجديد قد كتب على أيدي يهود آمنوا بالمـسيح واعتمـدوا لـه بـين الأربعينات والثمانينات من القرن الأول" (على الأرجح بين ٥٠ ـ ٧٥ ب. م.).

يعتبر السير ويليام رامزي أحد أعظم علماء الآثار على الإطلاق. كان أحـد تلاميذ المدرسة التاريخية الألمانية التي علمت أن سفر أعمال الرسل كـان نتـاج منتصف القرن الثاني الميلادي وليس القرن الأول كما يستدل من قراءته. أصـبح مقتنعا بعد قراءته كتب النقد الحديث لسفر أعمال الرسل بأنه رواية غيـر جـديرة بالثقة حول أحداث وقعت سنة (٥٠ ب.م.)، وهو لـهذا غير جدير بالاعتبار مـن قبل مؤرخ. فعندما كتب بحثه عن تاريخ آسيا الصغرى، لـم يعر اهتماما كبيـرا للعهد الجديد. غير أن تحقيقاته وأبحاثه قادته في النهاية إلى أن يأخذ كتابات لوقـا مأخذ الجد. لاحظ دقة التفاصيل التاريخية الشديدة، فبدأت نظرته نحو سفر أعمـال الرسل بالتغير تدريجيا. واضطر إلى أن يخلص للنتيجة بأن "لوقـا مـؤرخ مـن الطراز الأول... ويجب أن يوضع بين مصاف أعظم المؤرخين." اعترف رامزي بسبب دقة أصغر التفاصيل التي يتميز بها سفر أعمال الرسل بأنـه لا يمكـن أن يكون نتاج القرن الثاني، بل يعود إلى منتصف القرن الأول.

يجد الكثير من المؤرخين المتحررين أنفسهم مجبرين على أن يأخذوا في اعتبارهم تواريخ أقدم لتدوين العهد الجديد. إن النتائج التي توصل إليها المؤرخ الدكتور أ. ت. روبنسون في كتابه الجديد "إعادة تاريخ العهد الجديد" مذهلة. ولقد أدى بحثه إلى قناعة بأن كل العهد الجديد كتب قبل سقوط أورشليم في ٧٠ م.

يقول اليوم نقاد المدرسة الشكلية بأن مادة العهد الجديد انتقلت شفاهة إلى أن تم تدوينها على شكل البشائر الأربعة. وعلى الرغم من أن هذه الفترة أقصر بكثير مما كان يعتقد سابقا، فإنهم يستنتجون بأن البشائر الأربعة اتخذت شكل الأدب الشعبي الفولكلوري (الأساطير والقصص والخرافات والأمثال). إن أحد الانتقادات الرئيسة ضد قول النقاد الشكليين بتطور التقليد الشفوي هو أن فترة التقليد الشفوي (كما يعرفه النقاد) ليست طويلة بما يكفي للسماح بالتغييرات التي حدثت في التقليد حسب زعم هؤلاء النقاد. تحدث سيمون كيستنمكر أستاذ الكتاب المقدس في جامعة دورت حول قصر الفترة التي استغرقتها كتابة العهد الجديد: "يستغرق تراكم الفولكلور في الحضارات البدائية عادة أجيالا عديدة، إنها عملية انتشار تدريجية عبر قرون طويلة من الزمن. ولكن علينا أن نتفق مع النقاد الشكليين في أن روايات البشائر الأربعة كتبت وجمعت في مدة تزيد قليلا عن جيل واحد. ويجب أن يفهم تشكيل كل إنجيل من الأناجيل الأربعة، حسب المنهج النقدي الشكلي، على أنه مشروع واسع النطاق بعيد النظر وذو مسار متسارع من الأحداث."

تحدى أ. هـ. ماكنيل الأستاذ الملكي السابق لعلم اللاهوت في جامعة دبلن نظرة النقاد الشكليين للتقليد الشفوي. فهو يوضح أنهم لا يتعاملون مع تقليد كلمات يسوع عن كثب كما يجب. ترينا نظرة فاحصة لـ ١كورنثوس ٧،١٢،٢٥:١٠ أن هنالك وجودا لتقليد حقيقي في تسجيل هذه الكلمات وحفظها حفظا دقيقا. جرت العادة في الديانة اليهودية أن يستظهر التلميذ تعاليم معلمه. فقد كان الطالب النجيب

مثل "وعاء مقوى لا تضيع منه نقطة." وإذا اعتمدنا على نظرية سي. ف. بيرنـي (في كتابه "الشعر في كلام إلهنا" الذي صـدر عـام ١٩٢٥)، فإننـا نـستطيع أن نفترض بأن كثيرا من تعاليم الرب قيلت بصيغة شعرية باللغة الآرامية. وقد سهل ذلك على الناس حفظها.

يقول بول ل. ماير أستاذ التاريخ القديم في جامعة متشيجن الغربية "إن الرأي القائل بأن المسيحية فرخت أسطورة الفصح والقيامة على فترة طويلة من الـزمن، أو أن الإنجيل المقدس كتب بعد هذه الحوادث بسنوات طويلة، هو قول غير واقعي وغير صحيح." كتب أولبرايت محللا النقد الـشكلي: "لا يـستطيع إلا البـاحثون الحديثون الذين يفتقرون إلى المنهج والنظرة التاريخيين أن ينسجوا مثل هذا النسيج من التساؤل والشك الذي لفه النقاد الشكليون حول تقليد البشارة." كـان اسـتنتاج أولبرايت الخاص بأن "فترة عشرين إلى خمسين سنة أقصر بكثير من أن تـسمح بأي تحريف له وزنه لمحتوى التقليد الحقيقي أو حتى للصياغة المحـددة لأقـوال يسوع."

عندما أتحدث إلى بعض الناس أحيانا عن الكتاب المقدس، فـإنهم يجيبـون باستهزاء بأنه لا يمكننا أن نثق بما يقوله الكتاب المقدس. والسبب في ذلك أنه كتب قبل حوالي ألفي سنة، ويضيفون بأنه مليء بالأخطاء والإختلافات، فأجيبهم بـأني أعتقد أن بإمكاني أن أثق فيه. ثـم أصف لهم حادثة وقعت خلال محاضـرة فـي التاريخ قلت في محاضرتي بأني أؤمن بأن هنالك أدلة على مصداقية العهد الجديد وصحته تفوق تقريبا مصداقية أية عشرة أعمال أدبية كلاسيكية معا. أخذ الأسـتاذ الجامعي الذي استضافني للحديث يضحك ضحكات مكبوتة وكأنه يهزأ بي متهمـا إياي بالمبالغة. فقلت له "ما الذي يضحكك؟" أجاب "جرأتك الكبيـرة فـي القـول لطلاب التاريخ بأنه يمكن الوثوق بالعهد الجديد. إن هذا شيء سخيف." أحس عادة بالامتنان عندما يقول أحدهم شيئا من هذا القبيل لأن لدي سـؤالا أوجهـه إليـه. (وبالمناسبة لـم أتلق أي جواب إيجابي عنه حتى الآن) قلت لـه: "أخبرنـي يـا

سيدي، ما هي الاختبارات التي تطبقها كمؤرخ على أي عمل أدبي قـديم لتقريـر مدى صحته ومصداقيته؟" والأمر الغريب أنه لـم تكن لديه أية اختبارات. فأجبتـه "لدي بعض الاختبارات." أعتقد بأنه يجب أن تخضع لنفس الاختبارات التي تخضع لها كل الوثائق التاريخية. يذكر المؤرخ العسكري سي. ساندرز ثلاثـة مبـادىء أساسية لاعتماد الوثائق التاريخية ثـم يشرحها. وهـذه المبـادئ هـي الاختبـار المخطوطي، واختبار الدليل الداخلي واختبار الدليل الخارجي.

الاختبار المخطوطي:

الاختبار المخطوطي هو فحص لعملية النقل الحرفي للوثائق والمخطوطـات التي تصلنا. أي أننا ندرس، في غياب المخطوطات الأصلية، مدى مصداقية النسخ فيما يتعلق بعدد المخطوطات والفترة الزمنية الفاصلة بين النسخة الأصلية والنسخة الموجودة فعلا.

نستطيع أن نقدر الثروة الهائلة للمخطوطات التي تثبت سلطان العهد الجديـد بمقارنتها مع مواد النصوص الأخرى التي تعود لمصادر قديمة مشهورة أخرى.

إن تاريخ ثوسيدايدس (٤٦٠-٤٠٠ ق.م.) متوفر بين أيـدينا مـن ثـمـاني مخطوطات يرجع تاريخها إلى حوالي ٩٠٠ ب. م.، أي بعد حوالي ١٣٠٠ عامـا من كتابته لمخطوطته الأصلية. كما أن المخطوطات التي تعود لهيرودوتس متأخرة كثيرا عن تاريخ كتابته للنسخة الأصلية، بالإضافة إلى أنها نادرة.

غير أن ف.ف. بروس يقول: "لا يمكن لأي باحث تقليدي أن يلتفت إلى أي رأي أو قول يشكك في مصداقية كتابات هيرودوتس وثوسيدايدس وحقيقتها علـى أساس أن أقدم نسخ المخطوطات عن أعمالهما تعود في تاريخها إلى ما يزيد عـن ١٣٠٠ عاما من تاريخ كتابة النسخ الأصلية."

كتب أرسطو أشعاره حوالي ٣٤٣ ق.م. غير أن أقدم نسخة متـوفرة لـدينا عنها تعود إلى ١١٠٠ م. أي أن هنالك فجوة زمنية تبلغ حوالي ١٤٠٠ سنة، كما أنه لا يوجد إلا خمس نسخ من هذه المخطوطات.

كتب سيزار كتابا عن تاريخ الحروب الغالية بـين ٥٨ ـ ٥٠ ق.م.، وتعـود المخطوطات المنسوخة التي نعتمد عليها، وعددها عشرة، إلى ألـف سـنة بعـد وفاته.

لكن حين يتعلق الأمر بالمخطوطات المنسوخة المعتمدة للعهد الجديـد، فـإن كثرة المواد المتوفرة محرجة للباحثين بالمقارنة مع أي عمل آخر. ظهـرت إلـى دائرة الضوء كميات هائلة من المخطوطات المنسوخة عن العهـد الجديـد بعـد اكتشاف مخطوطات ورق البردي التي جسرت الهوة بين زمن المـسيح والقـرن الثاني. يوجد لدينا اليوم ما يزيد عن ٢٠٫٠٠٠ نسخة مـن مخطوطـات العهـد الجديد. أما الإلياذة، وهي التي تلي العهد الجديد في مصداقية مخطوطاتها وعددها، فلا يوجد منها إلا ٦٤٣ مخطوطة منسوخة.

كتب السير فريدريك كينيون الذي كـان يـشغل منـصب مـدير المتحـف البريطاني ورئيس أمناء المكتبة فيه، وهو أكثر الخبراء جدارة بالثقة دون منـازع فيما يختص بالحكم على المخطوطات "إن الفترة بين تواريخ كتابة العهـد الجديـد وأقدم المخطوطات الموجودة لدينا الآن قصيرة جدا بحيث يمكننا أن نهملها. ولقد زال الآن آخر أساس لأي شك في أن أسفار العهد الجديد قد وصلت إلينا كما كتبت أصلا."

يضيف جي. هارولد جرينلي عالـم اللغة اليونانية في العهد الجديد قـائلا: "بما أن الباحثين يقبلون الكتابات الكلاسيكية القديمة على أنها جديرة بالثقة بـشكل عام، على الرغم من أن أقدم المخطوطات المنسوخة عنها قد نسخت بعدها بـزمن

طويل وأن عدد هذه المخطوطات المنسوخة قليل جـدا، فـإن مـن الواضـح أن مصداقية نص العهد الجديد أكيدة أيضا."

يؤكد لنا تطبيق الاختبار المخطوطي على العهد الجديد بأنه يعول عليه أكثر من أي عمل أدبي قديم. وإذا أضفنا إلى ذلك الأبحاث والدراسات النقدية المكثفـة لنصوص العهد الجديد على امتداد ما يزيد عن مائة عام، فإن المرء يـستطيع أن يخلص إلى أننا أثبتنا أن نص العهد الجديد كما هو متوفر بين أيدينا اليوم حقيقـي وصحيح وجدير بالثقة.

اختبار البرهان الداخلي:

إن كل ما أثبته الاختبار المخطوطي هو أن النص الموجود بين يدينا اليـوم مطابق للنص الأصلي. غير أن على المرء أن يقرر مـا إذا كـان هـذا الـسجل المكتوب معقولا ككل وقابلا للتصديق وإلى أي مدى. وهذه هـي المـشكلة التـي يتعامل معها اختبار البرهان الداخلي، وهو الاختبار الثاني الـذي يـذكره سـي. ساندرز.

وهنا فإن الناقد الأدبي ما زال يتبع مقولة أرسطو "يجب تبرئة أية وثيقة من التهم عند غياب الأدلة القاطعة على صحتها، ولا يجب اعتبارها فـي مـصلحة الناقد." فكما يقول جون و. مونتغمري: "يجب على المرء أن يستمع لمزاعم الوثيقة وإخضاعها للتحليل دون افتراض الزيف أو الخطأ إلا إذا حكم مؤلف الوثيقة على نفسه بعدم الأهلية لوجود التناقضات والمغالطات والمخالفات للواقع التي تزخر بها وثيقته."

يوضح الدكتور لويس جوتشوك، أستاذ التاريخ في جامعة شـيكاجو منهجـه التاريخي بدليل يستخدمه الكثيرون في تحقيقاتهم التاريخية. يقول جوتـشوك بـأن

قدرة الكاتب أو الشاهد على قول الحقيقة تساعد المؤرخ على تقريـر مـصداقية شهادته "حتى لو كانت موجودة في وثيقة حصل عليها بالقوة أو الإحتيال، أو كانت خالية من العيوب والأخطاء، أو مبنية على دليل من الإشاعات، أو كانت صـادرة عن شاهد غير محايد."

وترتبط هذه القدرة على قول الحقيقة ارتباطا وثيقا بقرب الشاهد الجغرافـي والزمني من الأحداث التي يسجلها. لقد سجلت أحداث العهد الجديد وتعاليم يـسوع من قبل أشخاص كانوا إما شهود عيان لها أو ممن كانت لهم علاقة بشهود العيان على هذه الأحداث وتعاليم يسوع.

يقول لوقا ١:١-٣: "إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قـصة فـي الأمـور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيهـا العزيز ثاوفيلس."

ويقول ٢ بطرس ١:١٦ "لأننا لـم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفنـاكم بقـوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين عظمته."

ويقول يوحنا في ١ يوحنا ١:٣ "الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكـون لكم أيضا شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المـسيح". ويقول في يوحنا ١٩:٣٥ "والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا انتم." ويقول لوقا في إنجيله ٣:١ "وفي السنة الخامسة عشرة من سـلطنة طيباريوس قيصر إذ كان بيلاطس البنطي واليا على اليهودية وهيـرودس رئـيس ربع على الجليل وفيلبس أخوه رئيس ربع على أيطوريـة وكـورة تراخـونيتس وليسانيوس رئيس ربع على الأبلية."

إن هذا القرب الشديد من الأحداث المسجلة وسيلة فعالة جدا للتصديق علـى دقة شهادة الشاهد. غير أن على المؤرخ أن يتعامل أيضا مع الشاهد الذي يـروي الزيف بوعي أو بدون وعي حتى لو كان قريبا من الحدث ومؤهلا لقول الحقيقة.

لقد تـم تداول روايات العهد الجديد عن المسيح في زمن أشخاص كانوا على قيد الحياة في عهده. وقد كان بإمكان هؤلاء الناس أن يؤكدوا صحة هذه الروايات أو ينفوها. وحين كان الرسل يدافعون عن قضية الإنجيل أمام خصومهم الألـداء، أشاروا إلى المعلومات العامة الشائعة فيما يتعلق بالمسيح. فهم لـم يكتفوا بالقول، "لقد رأينا ذلك" أو "سمعنا ذلك"، ولكنهم تحدوا نقادهم وخـصومهم بـشكل سـافر بقولهم "أنتم أيضا تعرفون عن هذه الأمور.. وقد رأيتموها." وعلى المرء أن يكون حذرا حين يقول لخصمه، "أنت تعرف ذلك أيضا" لأنه إن لـم يكن دقيقا في سرد التفاصيل، فسيكون كلامه شاهدا عليه لا شاهدا له، وسيخسر قضيته.

يقول بطرس في أعمال ٢:٢٢ "أيها الرجال الإسـرائيليون، اسـمعوا هـذه الأقوال: يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل اللـه بقوات وعجائب وآيات صنعها اللـه بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون."

ونقرأ في أعمال ٢٦:٢٤-٢٦ "وبينما هو يحتج بهذا قال فـستوس بـصوت عظيم: أنت تهذي يا بولس. الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان. فقال: لست أهـذي أيها العزيز فستوس بل أنطق بكلمات الصدق والصحو. لأنه من جهة هذه الأمور عالـم الملك الذي أكلمه جهارا. إذ أنا لست أصدق أن يخفي عليه شيء من ذلك، لأنه لـم يفعل في زاوية."

يقول ف.ف. بروس أستاذ مادة نقد الكتاب المقدس وتفـسيره فـي جامعـة مانشستر بخصوص قيمة المصدر الرئيسي لمخطوطات العهد الجديد: "لـم يكـن الوعاظ يهتمون بشهود العيان الوديين فقط، فقد كان هنالك أشخاص أقل ميلا منهم لاتخاذ موقف ودي على الرغم من اطلاعهم على حقائق خدمة يـسوع وموتـه.

ولـم يكن بإمكان التلاميذ أن يخاطروا بذكر أية تفاصيل غير دقيقة (ناهيك عـن التلاعب المقصود بالحقائق) يمكن أن يكتشفها أعداؤهم ويشهروا بها عـن طيـب خاطر. لكننا على النقيض من ذلك، نجد أن إحدى النقاط القوية التي اعتمدوا عليها في وعظهم الرسولي الأصلي ثقتهم بمعرفة مستمعيهم للأحداث التي تحدثوا عنها. لـم يكتفوا بالقول: "نحن شهود لهذه الأمور" ولكنهم قالوا أيضا "كما أنـتم أيـضا تعلمون" أعمال ٢:٢٢. فلو ظهر أي ميل لدى التلاميذ إلى الابتعاد عـن الحقـائق المادية فإن الوجود المحتمل لأي شهود من خصومهم بين الجمهور سيكون عاملا مقاوما آخر لقضيتهم."

يعلق لورنس جي. ماكنلي الأستاذ في جامعة القديس بطرس عن قيمة الشهود المعادين (شهود الخصوم) وعلاقتهم بالأحداث المسجلة فيقول: "أولا وقبـل كـل شيء، كان شهود الأحداث التي نحن بصددها على قيد الحياة عندما اكتمل تـشكيل التقليد، وقد كان من بينهم أعداء لدودين لهذه الحركة الدينية الجديدة. غير أن التقليد زعم أنه يروي سلسلة معروفة من الأعمال والأحداث وتعاليم علمت جهـارا فـي وقت يمكن فيه تحدي مثل هذه المزاعم لو كانت غير صحيحة."

ويقول روبرت جرانت عالـم العهد الجديد في جامعة شيكاجو: "في الوقـت الذي كتبت فيه (الأناجيل الثلاثة الأولى) أو الذي يفترض أنها كتبت فيـه، كـان هنالك شهود عيان، ولـم تكن شهادتهم مهملة. وهذا يعني أن علينـا أن نعتبـر الأناجيل شهادات موثوقة عن حياة يسوع وموته وقيامته."

كتب ويل ديورانت الذي تدرب جيدا على عملية التحقيق التاريخي وأمـضى حياته في تحليل المخطوطات الأثرية: "على الرغم من وجهة النظر غير المحايدة التي يبديها كاتبو الأناجيل ومفاهيمهم اللاهوتية المسبقة، فإنهم يـسجلون حـوادث كثيرة كان يمكنهم أن يخفوها لو كانوا مؤلفين مخترعين للحوادث. كتنافس التلاميذ على من سيحتل أعظم مكان في الملكوت. وهربهم بعد القبض على يسوع، وإنكار

بطرس له، وعدم قدرة المسيح على القيام بمعجزات في الجليل، وإشارات بعـض المستمعين إلى احتمال كونه مجنونا، وما بدا لهم من عدم تأكده المبكر من مهمته، واعترافه بعدم معرفة المستقبل، ولحظات حزنه، وصرخته اليائسة على الصليب، فإن أحدا لا يستطيع أن يقرأ هذه المشاهد ويشك في حقيقة الشخصية التي تقـف وراءها. إن فكرة اختراع رجال بسطاء اجتمعوا في جيل واحد لمثل هذه الشخصية القوية الجذابة السامية الأخلاقية وهذه الرؤيا الملهمة عن الأخوة الإنسانية، هي في حد ذاتها معجزة أقل قابلية للتصديق من أي شيء سجل في الأناجيل. لقـد بقيـت الخطوط العريضة لحياة يسوع وشخصيته وأعماله بعد قـرنين مـن "النقـد العالي" واضحة وضوحا جيدا وتشكل أعظم شخصية مبهرة في تـاريخ الإنـسان الغربي."

اختبار البرهان الخارجي:

الاختبار الثالث للصحة التاريخية هو البرهان الخارجي. والقضية المعالجـة هنا هي مسألة وجود مواد تاريخية أخرى تؤكد أو تنفي شهادة الوثائق نفسها. هل توجد لدينا أية مصادر أخرى، غير الوثائق والسجلات الأدبية التي هي موضـوع تحليلنا ودراستنا، ثبتت صحتها ودقتها وموثوقيتها؟

يقول جوتشوك بأن "التوافق أو الانسجام مع الحقائق التاريخيـة أو العلميـة الأخرى المعروفة يكون غالبا الاختبار الحاسم للبرهان سواء تعلق الأمـر بـشاهد واحد أو أكثر."

يثبت صديقان للرسول يوحنا البرهان الداخلي كما رواه يوحنا. حفظ المؤرخ يوسيبيوس كتابات بابياس مطران هيرابوليس (١٣٠ م) "كـان الـشيخ (الرسـول يوحنا) يقول أيضا ما يلي: كان مرقس مترجم بطرس وكاتبه. فدون بدقة كل مـا

ذكره (بطرس) سواء كان أقوال المسيح أو أعماله، لكن دون ترتيب زمني، لأنـه لـم يكن من الذين سمعوا الرب أو رافقوه، وصاغها كما تقتضي الضرورة، دون أن يكون القصد حصر كل أقوال الرب. فمرقس إذا لـم يرتكب أي خطأ عنـدما كتب بطريقته بعض الأمور كما سمعها، فقد كان همه الوحيد ألا يحذف شيئا ممـا سمع، وألا يدخل أي شيء غير صحيح فيه."

كتب أيرينيوس، مطران ليونز (١٨٠ م. تتلمذ على يد بوليكـارب مطـران سميرنا الذي أمضى ثـمانية وستين سنة في حياة الإيمان، وكـان أحـد تلاميـذ الرسول يوحنا): نشر متى إنجيله بين العبرانيين (اليهود) وكتبه بلسانهم، في الوقت الذي كان فيه بطرس وبولس في روما يبشران ويؤسسان الكنيسة هنـاك. وبعـد رحيلهما (أي موتهما الذي يؤكد التقليد أنه حصل في زمن الاضطهاد النيرونـي عام ٦٤ م.) قام مرقس تلميذ بطرس وكاتبه، بتسليمنا بنفسه مواعظ بطرس كتابة. بينما كتب لوقا، تلميذ بولس، الإنجيل الذي بشر به معلمه. وهنالك أيضا يوحنـا، تلميذ الرب والذي اتكأ أيضا على صدره (هذه إشارة إلى يوحنا ٢٥:١٣، ٢٠:٢١) كتب الإنجيل المسمى باسمه أثناء إقامته في أفسس في آسيا."

يقدم لنا علم الآثار برهانا خارجيا قويا. وهو يساهم في النقد الكتابي، ليس في مجال الوحي والإعلان، وإنما في تقديم الأدلة على دقة الحوادث المسجلة. كتـب عالـم الآثار جوزيف فري: "لقد أثبت علم الآثار صحة فقرات كتابية لا حصر لها كان قد رفضها النقاد على اعتبار أنها غير صحيحة تاريخيا أو مخالفـة للحقـائق المعروفة."

لقد رأينا كيف جعل علم الآثار السير وليام رامزي يغيـر قناعاتـه الـسلبية الأولية حول صحة كتابات لوقا تاريخيا، ويستنتج أن سفر أعمال الرسل دقيق فـي وصف جغرافية آسيا الصغرى وآثارها ومجتمعها.

يقول ف.ف. بروس "ما دامت كتابات لوقا قد اتهمت بعدم الدقة، وثبتت دقتها بالبرهان الخارجي، فقد يكون مشروعا لنا أن نقول بأن علم الآثار قد أثبت صـحة العهد الجديد."

كتب أ.ن. شيروين، وهو أحد المؤرخين الممتازين "إن الأدلة التـي تثبـت الصحة التاريخية لسفر أعمال الرسل قاطعة" ويستمر قائلا "لابـد أن تبـدو أيـة محاولة لرفض صحته التاريخية حتى في الأمور التفصيلية عبثا. ولقـد اعتبرهـا المؤرخون الرومان أمرا مسلما به لمدة طويلة."

بعد أن حاولت شخصيا أن أحطم صحة الكتاب المقدس التاريخية وشرعيته، توصلت إلى نتيجة أنه جدير تاريخيا بالثقة. وإذا رفض أحدهم الكتـاب المقـدس بحجة أنه لا يعول عليه بهذا المعنى، فإن على هذا الشخص أن يرفض تقريبا كـل الوثائق الأدبية التاريخية ويعتبرها غير جديرة بالثقة.

هنالك مشكلة تواجهني دائما، وهي رغبة الكثيرين فـي تطبيـق مقيـاس أو إختبار معين على وثيقة أدبية دنيوية، ومقياس آخر على الكتاب المقـدس. يجـب علينا أن نطبق الإختبار سواء كانت الوثيقة موضوع البحث دينية أم دنيوية. وبعد أن فعلنا ذلك، فإننا نستطيع القول، "الكتاب المقدس جدير بالثقة ويعول عليه تاريخيا في شهادته ليسوع."

يقول الدكتور كلارك هـ. بينوك، أستاذ اللاهـوت النظـامي فـي جامعـة ريجنت: "لا توجد أية وثيقة من العالـم القديم كالكتاب المقدس يشهد لصحتها هذا العدد الممتاز من الشهادات النصية والتاريخية، وتقدم مثل هذه المجموعة الرائعـة من المعلومات التاريخية الأولية والتي يمكن أن نبني على أساسها قرارا حكيما. لا يستطيع أي شخص أمين أن يرفض مصدرا من هذا النوع. وإن الشك الذي يدور حول الوثائق التاريخية للمسيحية مبني على تحامل غير منطقي (غير طبيعي)."

الفصل الخامس

من لديه استعداد للموت من أجل كذبة؟

هناك ناحية تغفل غالبا في تحدي النقاد للمسيحية، ألا وهي التحول أو التغير الجذري الذي حدث في حياة تلاميذ يسوع. تقدم لنا حياتهم المتغيرة شهادة متينـة على صحة مزاعمه وشرعيتها. وبما أن الإيمان المسيحي تـاريخي، فـإن علينـا ونحن نتحقق من صحته أن نعتمد كثيرا على الشهادة المكتوبة والشفوية.

هناك تعريفات كثيرة لكلمة "تاريخ"، لكن تعريفي المفضل هو أنـه "معرفـة الماضي المبنية على الشهادة." فإذا قال أحدهم، "لا أعتقد أن هذا تعريـف جيـد." فإنني أسأله "هل تعتقد أنه عاش على أرضنا شخص اسمه نابليون؟" ويجيب معظم الناس تقريبا "نعم" فأسأل "هل رأيته؟" ويعترفون بأنهم لـم يروه. فأسأل "كيـف تعرف إذا ذلك؟" يعتمد مثل هؤلاء الأشخاص على الشهادة.

للتعريف الذي قدمته للتاريخ مشكلة أساسية لأن الـشهادة يجـب أن يكـون موثوقا بها وإلا فسيتم تضليل السامع. تشتمل المسيحية على معرفة للماضي مبنية على الشهادة، ولـهذا فإن علينا أن نسأل. "هل كانت الشهادات الشفوية الأصـلية عن يسوع جديرة بالثقة؟ هل يمكن أن نعتمد عليها ونطمئن إلى أنها عبرت بـشكل صحيح عن كل ما قاله وفعله يسوع؟" أعتقد ذلك.

أستطيع أن أثق بشهادات الرسل لأن أحد عشر شخصا منهم من بـين اثنـي عشر شخصا مات شهيدا على أساس حدثين: قيامة المسيح وإيمانهم به كابن اللـه. تعرضوا للتعذيب والجلد وواجهوا الموت بأحد أقسى الأساليب المعروفة:

١) بطرس ـ صلب. ٢) أندراوس ـ صلب. ٣) متى ـ قتل بالسيف. ٤) يوحنـا ـ ميتة طبيعية. ٥) يعقوب بن حلفى ـ صلب. ٦) فيلبس ـ صلب. ٧) سمعان ـ صلب. ٨) يعقوب أخـو يـسوع ـ رجـم. ٩) تومـا ـ طعـن بحربـة. ١٠) برثولماوس ـ صلب. ١١) يعقوب بن زبدي ـ قتل بالسيف. ١٢) تداوس ـ قتل رميا بالسهام.

والجواب الذي أتلقاه عادة هو "لقد مات كثير من الناس من أجل كذبة، فمـاذا يثبت ذلك؟" نعم، لقد مات أناس كثيرون من أجل كذبة، لكنهم اعتقدوا أنها كانـت الحقيقة. والآن لنفترض أن قيامة يسوع لـم تحدث (أي أنها كانت شـيئا غيـر حقيقي). فلا بد أن التلاميذ عرفوا ذلك، لأنني لا يمكن أن أجـد طريقـة لإثبـات إمكانية وقوعهم ضحية لخدعة.

ولهـذا فإن هؤلاء الأشخاص الأحد عشر لـم يموتوا من أجل كذبة فقـط، ولكنهم عرفوا أيضا أنها كذبة. من الصعب أن تجد في التاريخ أحد عشر شخـصا ماتوا من أجل كذبة. علينا أن نكون مطلعين على عدة عوامل حتى نقدر ما قـاموا به. فعندما تكلم الرسل أو كتبوا، فإنهم فعلوا ذلك كشهود عيـان للأحـداث التـي وصفوها.

قال بطرس: "لأننا لـم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنـا يـسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين عظمته" ٢بطرس ١:١٦، إن مـن المؤكـد أن الرسل عرفوا الفرق بين الخرافة أو الأسطورة والحقيقة والواقع.

لقد أكد يوحنا على هذا الجانب من الشهادة لمعرفة اليهود: "الذي كـان مـن البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانـت عند الآب وأظهرت لنا، الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكـون لكـم أيـضا شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المـسيح." ١يوحنـا ١:١-٣

قال لوقا: "إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فـي الأمـور المتيقنـة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيهـا العزيـز ثاوفيلس" لوقا ١:١-٣.

ثـم يصف لوقا في سفر أعمال الرسل فترة الأربعين يومـا التـي أعقبـت القيامة وراقبه فيها أتباعه عن قرب: "الكلام الأول أنشأته . . عن جميع ما ابتـدأ يسوع يفعله ويعلم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم، الذين أراهم أيضا نفسه حيا ببراهين كثيرة بعدما تألـم وهو يظهر لهم أربعين يوما ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت اللـه،" أعمال ١:١-٣.

وبدأ يوحنا الجزء الأخير من إنجيله بقوله: "وآيات أخر كثيرة صنع يـسوع قدام تلاميذه لـم تكتب في هذا الكتاب." يوحنا ٢٠:٣٠.

كان المضمون الرئيسي لشهادة شهود العيان هو قيامة يـسوع. ولقـد كـان الرسل شهودا لحياته المقامة:

لوقا ٢٤:٤٨	يوحنا ١٥:٢٧	أعمال ١:٨
أعمال ٢٤:٢،٣٢	أعمال ١٠:٤١	أعمال ١٣:٣١
أعمال ٣:١٥	أعمال ٤:٣٣	أعمال ٥:٣٢

أعمال ١٠:٣٩ ١يوحنا ١:٢ أعمال ١٥:٢٢
أعمال ٢٦:١٦ ١كورنثوس ١٥:١٥ أعمال ٢٣:١١
١كورنثوس ١٥:٤-٩

ثـم أنه كان على الرسل أنفسهم أن يكونوا مقتنعين بأن يسوع قام من بـين الأموات. لـم يؤمنوا بذلك في البداية. ولـهذا فقـد هربـوا واختبـأوا (مـرقس ١٤:٥٠). لـم يترددوا في التعبير عن شكوكهم. ولـم يصدقوا إلا بعد توفر دليل كاف مقنع. فهنالك توما الذي قال بأنه لـن يؤمن بأن المسيح قام من بين الأموات ما لـم يضع إصبعه في أثر المسامير. ولقد مات توما فيما بعد شهيدا من أجل المسيح. فهل كان مخدوعا؟ لقد راهن بحياته على أنه لـم يكن كذلك.

وهنالك أيضا بطرس الذي أنكر المسيح ثلاث مرات أثناء محاكمته، إلـى أن تركه أخيرا. لكن شيئا حصل لـهذا الجبان. فبعد فترة وجيزة من صلب المـسيح ودفنه، ظهر بطرس في أورشليم وهو يعظ بشجاعة، معرضا نفسه لخطر الموت، بأن المسيح قام. وانتهى الأمر به إلى أن يصلب هو نفـسه مقلوبـا. هـل كـان مخدوعا؟ ماذا حدث له؟ ما الذي غيره بمثل هذه الصورة الدرامية المثيرة وحولـه إلى أسد شجاع يشهد ليسوع؟ ما الذي كان مستعدا أن يموت من أجلـه؟ لا يوجـد تفسير مرض لي سوى ١ كورنثوس ١٥:٥ "وأنه ظهر لصفا (أي بطرس)" يوحنا ١:٤٢.

نجد في يعقوب أخا يسوع مثالا ممتازا لإنسان اقتنع بالمسيح بالرغم من عدم إيمانه به من البداية. (متى ١٣:٥٥، مرقس ٦:٣) ومع أنه لـم يكن من بين الاثني عشر الأصليين (متى ١٠:٢-٤)، فقد اعترف به لاحقا كرسول (غلاطيـة ١:١٩) كبولس وبرنابا (أعمال ١٤:١٤). عندما كان يسوع على قيد الحياة، لـم يـؤمن يعقوب به على أنه ابن اللـه (يوحنا ٧:٥). فقد كان وإخوته الآخرون وأخواتـه يسخرون منه. فكأن لسان حالهم يقول "هل تريد من الناس أن يؤمنوا بك؟ اذهـب إلى أورشليم لتصنع معجزاتك هناك."

لابد أن يعقوب كان يحس بالخزي والعار والحرج وأخوه يسوع يتجول بـين الناس والمدن ويجلب العار على اسم العائلة بادعاءاته الغريبة ("أنا هـو الطريـق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" يوحنا ٦:١٤، "أنا الكرمة وأنـتم الأغصان" يوحنا ٥:١٥، "أنا هو الراعي الصالح... وخاصـتي تعرفنـي" يوحنـا ١٠:١٤). ماذا سيكون موقفك لو أن أخاك تفوه بمثل هذه الأشياء؟

لكن شيئا حدث ليعقوب. لأننا نجده بعد صلب يسوع ودفنه يعظ في أورشليم. وكانت رسالته هي أن يسوع مات من أجل خطايا الناس وأنه قام وهو حي. قـد أصبح يعقوب في نهاية الأمر أحد قادة كنيسة أورشليم، وكتب أحد الأسفار، وهـي رسالة يعقوب. ولقد بدأ رسالته بقوله: "يعقوب عبد اللـه والرب يسوع المسيح."

اعترف بأن أخاه هو الرب. وانتهى به الأمر إلى أن يموت شهيدا عندما رجم على يدي حنانيا رئيس الكهنة (يوسيفوس). فهل كان يعقـوب مخـدوعا؟ لا، وإن التفسير الوحيد المعقول موجود في ١ كورنثـوس ٧:١٥ "وبعـد ذلـك ظهـر ليعقوب."

إذا كانت القيامة كذبة، فقد عرف الرسل ذلك، فهل كانوا يحـاولون تخليـد خدعة كبيرة؟ لا يتفق هذا الاحتمال مع ما نعرفه عن حياتهم التي تتصف بـالخلق الرفيع. فقد أدانوا الكذب وأكدوا على الأمانة. وشجعوا الناس على معرفة الحـق. كتب المؤرخ إدوارد جيبون في كتابه المشهور "تـاريخ انحطـاط الإمبراطوريـة الرومانية وسقوطها" بأن "نقاء أخلاق المسيحيين الأوائل مع بساطتها وصـرامتها كانت أحد خمسة أسباب وراء انتشار المسيحية السريع ونجاحها." ويلاحظ مايكـل جرين، عميد كلية القديس يوحنا في نوتنجهام بأن القيامة "كانت هي العقيدة التـي حولت أتباعا محبطين لمعلم مصلوب إلى شهود شجعان وشـهداء فـي الكنيـسة الأولى. كانت هذه هي العقيدة التي فصلت أتباع يسوع عن اليهود وحـولتهم إلـى

مجتمع القيامة. كان بإمكانك أن تسجنهم وتجلدهم وتقتلهم، ولكنك لـم تكن لتقـدر أن تجبرهم على إنكار قناعتهم بأنه في اليوم الثالث قام."

وهنالك أيضا تصرف الرسل الشجاع فور اقتناعهم بقيامة يسوع، وهو الأمر الذي يجعلنا نستبعد وجود الاحتيال والخداع في الموضوع. فلقد أصبحوا شـجعانا بين ليلة وضحاها تقريبا. فبطرس الذي سبق أن أنكر المسيح، وقف يعلن أن يسوع حي بعد قيامته، على الرغم من الخطر الذي كان يتهدده. قامت السلطات باعتقـال أتباع يسوع المسيح وضربهم، لكنهم سرعان ما كانوا يرجعون إلى الشارع للتحدث عن يسوع (أعمال ٥:٤٠-٤٢). لاحظ أصدقاؤهم مرحهم وفرحهم ولاحظ أعداؤهم شجاعتهم. كما أنهم لـم يبشروا في بلدة مغمورة وإنما في أورشليم.

لـم يكن بإمكان أتباع يسوع مواجهة التعذيب والموت مـا لـم يكونـوا مقتنعين بالقيامة. لقد كان إجماعهم على الرسالة ومسار سلوكهم أمرين مدهـشين. وعلى الرغم من أن فرص عدم اتفاق مجموعة واسعة من الناس كبيرة جـدا، إلا أنها اتفقت على حقيقة القيامة. ولو أنهم كانوا من المخادعين، فإن مـن الـصعب علينا أن نشرح كيف أن أحدا منهم لـم ينهر تحت الضغط.

يقول الفيلسوف الفرنسي باسكال: "إن الزعم بأن الرسـل كـانوا أشخاصـا محتالين مناف للعقل وسخيف. لكن دعونا نرى النتيجة المنطقية لـهذه التهمـة. دعونا نتصور اثني عشر شخصا يجتمعون بعد موت يسوع المسيح ويتآمرون على القول بأنه قد قام. إن من شأن هذا الزعم أن يـشكل تهديـدا للـسلطتين المدنيـة والدينية. إن قلب الإنسان ميال بشكل عجيب للضعف والتغير. تتلاعب به الوعود وتغريه الأمور المادية. ولو أن أحد هؤلاء الرجال استسلم لمثل هذه الإغـراءات الجذابة أو رضخ للتهديدات القوية بالسجن والتعذيب، لضاعوا جميعا."

ويتعجب مايكل جرين: "كيف تحولوا بين ليلة وضحاها تقريبا إلى مجموعـة لا تقهر من المتحمـسين الـذين تحملـوا المعارضـة والتـشكيك والاسـتهزاء والصعوبات والسجن والموت بشجاعة في ثلاث قارات وهـم يبـشرون بيـسوع وبالقيامة في كل مكان؟"

يصف كاتب مجهول التغييرات التي حصلت في حياة الرسل: "كانوا في يوم الصلب مملوئين حزنا، وفي أول أيام الأسبوع فرحا وسعادة. كانوا في يوم الصلب يائسين، بينما توجهت قلوبهم باليقين والرجاء في أول أيام الأسبوع. عندما برزت فكرة الصلب لأول مرة، كانوا غير مصدقين وغير قابلين للاقتنـاع. غيـر أنهـم عندما تأكدوا من حقيقتها، لـم يساورهم الشك بها ثانية. كيف يمكن تفسير مثل هذا التغيير المدهش الذي طرأ على هؤلاء الأشخاص في مثل هذا الوقت القـصير؟ لا يمكن لمجرد نقل الجثة من القبر أن تتغير أرواحهم وشخصياتهم. وفتـرة الأيـام الثلاثة لا تكفي لظهور أسطورة يمكن أن تحدث فيهم كل هذا التأثير. إن عمليـة نمو الأسطورة يحتاج إلى زمن طويل. إنها حقيقة سيكولوجية (نفسية) تحتاج إلـى شرح واف. فكر بطبيعة شخصيات الرجال والنساء الذين قدموا للعالـم أسـمى التعاليم الأخلاقية التي عرفها، والتزموا بالمبادئ التي نادوا بهـا حتـى بـشهادة أعدائهم. فكر في عبثية تصور مجموعة صغيرة من الجبناء المهزومين قابعة فـي علـية في أحد الأيام تتحول إلى جماعة لا يمكن أن يسكتها أي اضطهاد ـ ثـم محاولة نسبة هذا التغيير المثير إلى شيء غير مقنع كعملية تلفيق تعيسة يحاولون أن يدسوها على الناس. هذا أمر لا معنى له."

كتب كينيث سكوت لا توريت: "كان لتأثير القيامة وحلول الروح القدس على التلاميذ أهمية كبيرة. فقد تحولوا من رجال ونساء محبطين يائسين يتحسرون على الأيام التي كانوا يرجون فيها "أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل" إلى مجموعة من الشهود المتحمسين."

ويسأل بول ليتل: "هل هؤلاء الرجال الذين ساعدوا على تحويـل التركيـب الخلقي للمجتمع كاذبون من الطراز الأول أو مجانين موهومون؟ إن هذين البديلين أكثر صعوبة للتصديق من حقيقة القيامة، ولا يوجد أي دليل مهما صغر لتأييدهما."

لا يمكن قبول أي تفسير لصمود الرسل وثبـاتهم حتـى المـوت. بحـسب الموسوعة البريطانية يقول أوريجانوس بأن بطرس مات مصلوبا بشكل مقلـوب. يصف هربرت وركمان موت بطرس: "وهكذا فإن شخصا آخر "منطق" بطـرس كما تنبأ ربنا، واقتيد عبر طريق "أوريل" على مقربة من حدائق نيرون إلـى تلـة الفاتيكان حيث سبق أن واجه الكثيرون من إخوته موتا قاسيا. ولقد صلب في وضع مقلوب بناءا على طلبه، لأنه حسب نفسه غير مستحق أن يموت مثل سيده."

كتـب هارولد ماتنجلي: "لقد خـتم الرسـولان بطـرس وبـولس شهادتيهمـا بدمهما." وكتب ترتليان بأنه "لا يمكن لإنسان أن يكون مستعدا للموت ما لـم يكن متيقنا من أنه يعرف الحق."

كتب سايمون جرينليف، أستاذ القانون في جامعة هارفـارد الـذي حاضـر سنوات طويلة عن كيفية انهيار شهادة الشاهد وتقرير ما إذا كان يكـذب أم لا: "لا نجد في سجلات الحروب العسكرية مثل هذا الثبات البطولي والصبر والـشجاعة التي لا تحجم. لقد كان لديهم كل حافز ممكن لمراجعة أسس إيمانهم والدلائل على الحقائق العظيمة التي أكدوها."

لقد نجح الرسل في اختبار الموت الذي تعرضوا له لتأكيد صحة مـا كـانوا يدعونه. اعتقد أني أستطيع أن أثق بشهادتهم أكثر مما أسـتطيع أن أثـق بـشهادة معظم الأشخاص الذي أقابلهم اليوم، الأشخاص الغير مستعدين أن يتكلفـوا مـشقة عبور الشارع من أجل ما يؤمنون به، ناهيك عن الموت من أجله.

الفصل السادس

ما الفائدة من مسيح ميت؟

مات كثير من الناس من أجل قضية نبيلة. خذ مثلا ذلك الطالب الذي أحرق نفسه حتى الموت في سان ديجو احتجاجا على الحرب الفيتنامية. كما قام بوذيون كثيرون في الستينات بحرق أنفسهم حتى الموت حتى يلفتوا انتبـاه العالـم إلـى منطقة جنوب شرق آسيا.

غير أن مشكلة الرسل هي أن قضيتهم النبيلة ماتت على الصليب. ولقد آمنوا بأن يسوع هو المسيح المنتظر. لـم يعتقدوا أنه يمكن أن يموت. كانوا مقتنعين بأنه هو الذي سيبني ملكوت اللـه ويحكم شعب إسرائيل.

إن علينا أن نفهم نظرة اليهود للمسيح المنتظر في زمن المسيح لكي نـتمكن من فهم علاقة الرسل بالمسيح وسبب عدم استيعابهم وقبولهم للصلب.

لقد كانت حياة يسوع وتعاليمه تتناقض تناقضا هائلا مع توقعات اليهود حول المسيح المنتظر. فقد كان اليهودي يلقن منذ صغره بأن المسيح سيكون عند مجيئه قائدا حاكما سياسيا منتصرا، وأنه سيحرر اليهود من نير العبوديـة والاسـتعمار

ويرد إسرائيل إلى مكانه الطبيعي اللائق به. أما فكرة المسيح المتألـ ـم "فكانـت غريبة تماما عن تصورات اليهود المسبقة عن المسيح المنتظر."

يتحدث إي. ف. سكوت عن عهد المسيح: "كانت فترة انفعال وهياج كبيرين. ولقد وجد القادة الدينيون أن من المستحيل كبح جماح الشعب. فقد كان اليهود فـي كل مكان ينتظرون ظهور المخلص الموعود. وممـا لا شـك فيـه أن الأحـداث التاريخية التي وقعت مؤخرا ضاعفت من حدة هذه الحالة النفسية من التوقع.

فقد تعدى الرومان مدة تزيد عن جيل على الحريـة اليهوديـة، ولقـد أدت الإجراءات القمعية التي مارسوها إلى إثارة الروح الوطنية ودفعها إلى حياة أشـد شراسة. لقد اتخذ حلم التحرير المعجزي الذي سينفذه المسيح الملك معنى جديدا في ذلك الوقت الحرج، ولكنه لـم يكن في حد ذاته شيئا جديدا. فنحن نستطيع أن نميز وجود فترة من التوقع المتنامي وراء هذا الهياج الذي نجد له دليلا في البشائر.

لقد بقي المسيح الموعود بالنسبة للناس له نفس المكانة التي كانت لدى النبي إشعياء ومعاصريه - ابن داود الذي سيحقق النصر والازدهار للأمة اليهودية. ولا نستطيع ان نشك في ضوء إشارات العهد الجديد في أن التصور المشوق للمـسيح المنتظر كان بشكل أساسي تصورا وطنيا وسياسيا."

كتب العالـم اليهودي جوزيف كلوسنر: "لـم يتحول المسيح المنتظر تدريجيا إلى حاكم سياسي عظيم فحسب، وإنما إلى رجل ذي صفات أخلاقية متميزة أيضا."

ويعكس جيكوب جارتينهوس المعتقدات اليهودية السائدة في زمـن المـسيح بقوله: "لقد انتظر اليهود من المسيح أن يكون ذلك الشخص الذي سيحررهم مـن الاستبداد الروماني... لقد كان الحلم المسياني (المتعلق بالمـسيح الموعـود) فـي أساسه حلما للتحرر الوطني."

تقول الموسوعة اليهودية بأن اليهود "تاقوا إلى المحرر المنتظر مـن بيـت داود، الذي سيحررهم من نير حكم المغتصب البغيض، وينهي الحكـم الرومـاني اللاديني، ويؤسس مكانه مملكة السلام والعدل."

لجأ اليهود في ذلك الوقت إلى حلم المسيح الموعود. وقد شارك الرسل بقية اليهود نفس معتقداتهم. وكما قال ميلر باروز: "لقد كان يسوع مختلفا عن كل مـا توقعه اليهود من ابن داود حتى إن تلاميذه وجدوا أن من المستحيل تقريبا علـيهم أن يربطوا فكرة المسيح المنتظر به." ولـهذا لـم يرحب تلاميـذه بتـصريحاته الجادة بأنه سيصلب (لوقا ٩:٢٢)، وكما قال أ. ب. بروس بأنه "كان لديهم أمل في أنه نظر إلى الموقف نظرة أكثر تشاؤما مما يجب، وأنه سيكتشف أن مخاوفه بـلا أساس... فقد كانت فكرة المسيح المصلوب فضيحة وتناقضا بالنسبة للرسل، وهـو نفس الموقف الذي تمسكت به أغلبية الشعب اليهودي بعد أن صعد الـرب إلـى المجد."

ولقد كان ألفرد إدرشيم الذي حاضر في موضوع الترجمة الـسبعينية فـي جامعة أوكسفورد محقا في قوله بأن "عصر يسوع كان مختلفا عنه."

يستطيع المرء أن يلمس في العهد الجديد موقف التلاميذ من المسيح: توقعهم من المسيا (المسيح) الحاكم. بعد أن أخبر يسوع تلاميذه بأن عليه أن يـذهب إلـى أورشليم ليتألـم، طلب إليه يعقوب ويوحنا أن يقطع لهما وعدا بأن يجلس أحـدهما عن يمينه والآخر عن شماله في ملكوته (مرقس ١٠:٣٢-٣٨). أي مسيح كان في مخيلتهم؟ مسيح متألـم مصلوب؟ لا، بل حاكم سياسي. لقد أشار يسوع إلى انهمـا أساءا فهم ما كان عليه أن يقوم به، لـم يفهما ما كانا يطلبانه. لـم يفهم التلاميـذ الإثنا عشر ما عناه يسوع عندما تنبأ بآلامه وصـلبه (لوقـا ١٨:٣١-٣٤). لقـد اعتقدوا بسبب خلفيتهم وتربيتهم بأنهم يسيرون في طريق كله مفروش بـالورود. ثـم جاء صليب الجلجثة. فتبخرت كل أحلامهم في أن يكون يسوع المـسيح هـو

الموعود. فعادوا إلى بيوتهم خائبين بعد أن ضاعت السنوات التي قـضوها معـه هباء.

كتب الدكتور جورج إلدون لاد أستاذ العهد الجديد في جامعة فولر اللاهوتية: "وهذا هو أيضا السبب الذي دعا تلاميذه إلى تركه عندما ألقى القبض عليـه. لقـد كانت عقولهم متشربة بشكل كامل لفكرة المسيح المنتـصر الـذي كـان دوره أن يخضع أعداءه، حتى أن كل آمالهم التي عقدوها عليه كمسيحهم المنتظر تحطمـت عندما رأوه سجينا عاجزا من سجناء بيلاطس، ذليلا نازفا متألما يقتـاد ويـصلب كمجرم عادي. إنها لحقيقة صحيحة بأننا نسمع فقط لما نحن مستعدون لـسماعه. لـهذا فإن نبوءات يسوع عن آلامه لـم تلق آذانا صاغية عنـدهم. لـم يكـن التلاميذ، على الرغم من تنبيهاته وتحذيراته لهم، مستعدين للقبول والفهم."

بعد أسابيع قليلة من الصلب، وبالرغم من كل شكوكهم السابقة، رجع التلاميذ إلى أورشليم يعلنون يسوع مخلصا وربا ومسيحا. والتفسير المقبول الوحيد لـهذا التغير موجود في ١ كورنثوس ٥:١٥ "وأنه ظهر لصفا ثـم للإثنـي عـشر." أي سبب آخر يمكن أن يدعو التلاميذ المكتئبين إلى أن يخرجوا ويتـألموا مـن أجـل مسيح مصلوب؟ لابد أنه أظهر نفسه لهم حيا بصورة أكيدة بعد آلامـه ببـراهين كثيرة مقنعة وأنه كان يظهر لهم على مدى أربعين يوما" أعمال ٣:١.

نعم، مات كثيرون من أجل هدف نبيل، لكن هدف الرسـل النبيـل، يـسوع المسيح، مات على الصليب. فقط القيامة وظهور المسيح لتلاميذه اقنعا أتباعه بأنه المسيح المنتظر. ولـم يشهدوا على ذلك بشفاههم وحياتهم فحسب، ولكن بمـوتهم أيضا.

الفصل السابع

هل سمعت بما حدث لشاول؟

جاك، وهو صديق لي ألقى محاضرات في جامعات كثيرة، عند وصوله إلى إحدى الجامعات لإلقاء محاضرة، فوجئ بأن الطلاب قد رتبوا له نقاشا مفتوحا مع "ملحد الجامعة." وكان خصمه في هذه الندوة أستاذ فلسفة فصيح بليغ اللسان معـاد تماما للمسيحية. فتحدث جاك أولا وناقش البراهين المختلفة علـى قيامـة يـسوع وتجديد الرسول بولس، ثـم أعطى شهادته الشخصية متحدثا عن الكيفية التي غير بها المسيح حياته أثناء دراسته الجامعية.

وعندما حان دور الأستاذ الجامعي في التحدث، كان عـصبيا جـدا. لـم يستطع أن يدحض براهين القيامة أو شهادة جاك الشخصية، فلجأ إلـى موضـوع تحول الرسول بولس الجذري إلى المسيحية. فاستخدم المقولة الشائعة بأن "الناس يمكن أن يكونوا غالبا منغمسين نفسيا في ما يحاربونه حتى إن الأمر قد ينتهي بهم إلى احتضانه وتبنيه." وهنا ابتسم صديقي بلطف وقال "إذا يستحسن أن تحـذر يـا سيدي، وإلا فإن من المحتمل أن تصبح مسيحيا مؤمنا."

إن إحدى أعظم الشهادات المؤثرة في صالح المسيحية هـي تحـول شـاول الطرسوسي، الذي كان الد أعداء المسيحية، إلى الرسول بولس. كان شاول عبرانيا متعصبا وقائدا دينيا. وقد أتاحت له نشأته في طرسوس فرصة الإطلاع على أكثر المعارف تقدما في عصره. وكانت طرسوس مدينة جامعية مـشهورة بفلاسـفتها الرواقيين وحضارتها الرواقية. وقد امتدح سترابو العالـم الجغرافي اليوناني هذه المدينة لاهتمامها بالتعليم والفلسفة.

تمتع بولس كوالده بالجنسية الرومانية. وكان ذلك امتيازا كبيرا. وكان ضليعا في الثقافة والفكر الإغريقيين. ولقد أظهر تمكنا عظيما من اللغة اليونانية والمهارة الجدلية. واستشهد بأشعار شعراء وفلاسفة غير ذائعي الصيت:

أعمال ٢٨:١٧ - "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد، (إبيمويندیس) كما قال بعض شعرائكم أيضا لأننا أيضا ذريته." (أريطس، كلنتش).

١ كورنثوس ٣٣:١٥ - "لا تـضلوا. فـإن المعـاشـرات الـرديـة تفـسد الأخلاق الجيدة" (ميناندر).

تيطس ١٢:١ - "قال واحد منهم وهو نبي لهم خاص: الكريتيـون دائمـا كذابون وحوش ردية، بطون بطالة." (إبيميندیس).

كانت تربية بولس يهودية تلـقاها علـى أيـدي الفريـسيين ذوي العقائـد الصارمة. أُرسل في سن الرابعة عشرة ليدرس على يدي غمالائيل أحـد أعظـم معلمي عصره، وهو أيضا حفيد هيليل. ولقد أكد بولس أنه لـم يكـن فريـسيا فحسب، وإنما كان ابن فريسي أيضا. (أعمال ٦:٢٣). كان في وسعه أن يفـاخر: "وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي من أبناء جنسي إذ كنـت أوفر غيرة في تقليد آبائي." (غلاطية ١٤:١).

إذا أراد المرء أن يفهم تحول بولس وتجديده، فإنه من الضروري أن يعرف سبب معاداته الشديدة للمسيحية، ألا وهو إخلاصه للناموس اليهودي الذي أشـعل فيه ضيقه الشديد من المسيح والكنيسة الأولى.

كتب جاك دوبون "لـم يكن ما أثار غضب بولس على الرسـالة المـسيحية تأكيدها على أن يسوع هو المسيح (ولكن)... إعطاء يسوع دورا خلاصـيا سـلب الناموس اليهودي من كل قيمته في قصد الخلاص.. كان (بولس) معاديـا عنيـدا للإيمان المسيحي بسبب الأهمية التي عزاها للناموس كطريق للخلاص."

تقول الموسوعة البريطانية بأن هذه الطائفة الجديدة من اليهودية التي تـدعو نفسها مسيحية حطمت جوهر تربية بولس اليهودية ودراساته التي تلقاها على أيدي المعلمين اليهود. ولـهذا فقد أصبح القضاء على هذه الطائفة رغبة محمومة لديـه (غلاطية ١٣:١). وهكذا بدأ ملاحقته "لجماعة الناصريين" حتى المـوت (أعمـال ٩:٢٦-١١). "وكان يسطو على الكنيسة" (أعمال ٣:٨). وانطلق إلى دمشق حاملا معه وثائق تخوله القبض على أتباع يسوع وتقديمهم للمحاكمة.

ثـم حدث شيء له. "أما شاول فكان لـم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب. فتقدم إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتـى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثوقين إلى أورشـليم. وفـي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء. فسقط علـى الأرض وسمع صوتا قائلا له: شاول شاول. لماذا تضطهدني؟ فقال من أنـت يـا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس. فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخـل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل. وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا. فنهض شاول عن الأرض، وكان وهو مفتوح

العينين لا يبصر أحدا. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبـصر فلم يأكل ولـم يشرب.

وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا. فقال له الرب في رؤيا: يا حنانيا. فقـال: هأنذا يا رب. فقال له الرب: قم واذهب إلى الزقاق الذي يقال له المستقيم واطلـب في بيت يهوذا رجلا طرسوسيا اسمه شاول، لانه هوذا يصلي. وقد رأى في رؤيا رجلا اسمه حنانيا داخلا وواضعا يده عليه لكي يبصر." أعمال ٩:١-١٢.

ونستطيع أن نرى هنا سبب خشية المسيحيين لبولس. "فأجاب حنانيا: يا رب، قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشرور فعل بقديسيك في أورشـليم. وههنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك. فقال له الرب: اذهب، لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمـم وملـوك وبنـي إسرائيل. لأني سأريه كم ينبغي ان يتألـم من أجل اسمي. فمضى حنانيا ودخـل البيت ووضع عليه يديه وقال: أيها الأخ شاول، قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر وتمتلىء من الروح القدس. فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد. وتناول طعاما فتقـوى. وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياما" (أعمال ٩:١٣-١٩). قال بـولس: "أما رأيت يسوع المسيح ربنا؟" ١كورنثوس ٩:١. لقد قارن ظهور المـسيح لـه بظهوراته للرسل بعد القيامة. "وآخر الكل كأنه للـسقط ظهر لي أنا" (١كورنثوس ١٥:٨).

لـم ير بولس يسوع فقط، بل إنه رآه بطريقة لا تقاوم. ولـم يناد بالبـشارة طوعا واختيارا وإنما اضطرارا. "لأنه إن كنت أبشر فليس لي فخر، إذ الضرورة موضوعة علي" (١ كورنثوس ٩:١٦).

لاحظ أن مقابلة بولس مع يسوع وتحوله الذي تلا كان فجـأة ودون توقـع. "فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم" أعمال ٦:٢٢. لـم تكن لدى بولس أية فكرة عن هويـة هذا الشخص السماوي. وعندما أعلن أنه يسوع الناصري أخـذ بـولس يرتجـف مندهشا.

ربما لا نعرف كل التفاصيل والأحداث المتلاحقة أو العوامل النفسية المتعلقة بما حدث لبولس على طريق دمشق، ولكننا نعلـم شيئا واحدا، وهو أنه غير كـل ناحية من نواحي حياته بشكل جذري.

أولا، لقد تغيرت شخصيته تغييرا أساسيا. تصفه الموسوعة البريطانية قبـل تحوله وتجديده على أنه غير متسامح وحاقد ومضطهد ومتعصب دينيـا ـ معتـد بنفسه ومزاجي. ويوصف بعد تجديده كرجل صبور مضح له قدرة على التحمـل. يقول كينيث سكوت لاتوريت: "غير أن الذي أعاد تشكيل حياة بولس ونـزع منـه مزاجه العصابي، وخرج به من دائرة خمول الذكر إلى دائرة الـشهرة والتـأثير الدائم، اختبار ديني عميق وثوري."

ثانياً، تغيرت علاقة بولس مع أتباع يسوع "وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياما، (أعمال ١٩:٩) وعندما ذهب إلى الرسل أخذ "يمين الشركة."

ثالثا، تغيرت رسالة بولس. وعلى الرغم من احتفاظه بحبه لميراثه اليهودي فقد تحول من معاد لدود للإيمان المسيحي إلى زعيم المدافعين عنـه وأنـصاره. "وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن اللـه" أعمال ٢٠:٩. لقد تغيرت قناعاته الفكرية. فقد أجبره اختباره على الاعتراف بأن يسوع هو المسيح، مناقضا بذلك أفكار الفريسيين عن المسيح تناقضا مباشرا. لقد عنى تصوره الجديد عن المسيح ثورة شاملة في فكره. لاحظ جاك دوبون بدقة أنه بعد أن "أنكر بكـل

حماس وانفعال بأنه يمكن لرجل مصلوب أن يكون المسيح المنتظر، أخذ يعترف بأنه المسيح حقا، وأعاد نتيجة لذلك التفكير والنظر في كل أفكاره السابقة عن المسيح."

وأصبح بإمكانه الآن أن يفهم أن موت المسيح على الصليب، الذي بدا له لعنة من الله ونهاية مستهجنة مؤسفة لحياة أي إنسان، هو الطريقة التي اختارها الله ليصالح بها الناس لنفسه من خلال المسيح. أخذ يدرك بأن المسيح أصبح لعنة من أجلنا من خلال الصلب (غلاطية ٣:١٣) "لأنه جعل خطية لأجلنا" (٢ كورنثوس ٥:٢١). وبدلا من أن يكون موت المسيح على الصليب هزيمة فقد نظر إليه على أنه انتصار عظيم توجته القيامة. لم يعد الصليب حجر عثرة، ولكنه أصبح جوهر الفداء الإلهي. ويمكن تلخيص كرازة بولس على أنها إيضاح ضرورة تألم المسيح وقيامته من الأموات وتقديم البراهين على ذلك. "موضحا ومبينا أنه كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات. وأن هذا هو المسيح يسوع الذي أنا أنادي لكم به." أعمال ١٧:٣.

رابعاً، تغيرت مهمة بولس. تحول من مبغض للأمم إلى مرسل لهم. تغير من يهودي متعصب إلى مبشر للأمم. كان بولس، كيهودي وفريسي، يحتقر الأمم وينظر إليهم على أنهم أقل شأنا من شعب الله المختار. لقد حوله اختبار دمشق إلى رسول مكرس مخلص، وأصبح هدف حياته مساعدة الأمميين.

فقد رأى بولس في المسيح الذي ظهر له، مخلصا لكل الناس. فتحول من فريسي تقليدي مهمته الحفاظ على القوانين اليهودية الصارمة إلى داعية إلى هذه الطائفة الثورية المسماة بالمسيحية والتي عارضها بعنف شديد. كان التغيير الذي طرأ على حياته كبيرا حتى "بهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا: أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم، وقد جاء إلى هنا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة" (أعمال ٩:٢١).

يقول المؤرخ فيليب سكاف: "لـم يكن تجديد بولس نقطة تحول في تاريخـه الشخصي فحسب، ولكنه كان أيضا عهدا جديدا مهما في تاريخ الكنيسة الرسولية، وبالتالي في تاريخ البشرية. لقد كان اكثر حدث مثمر منذ معجزة يوم الخمـسين، وأدى إلى انتصار المسيحية الكامل."

جلست إلى جانب أحد التلاميذ أثناء فترة الغداء في جامعة هيوسـتن. قـال خلال نقاشنا حول موضوع المسيحية، بأنه لا يوجـد أي دليـل تـاريخي علـى المسيحية أو المسيح. كان الطالب متخصصا في التاريخ. ولاحظت أن أحد كتبـه يتناول موضوع التاريخ الروماني. أشار الطالب بأن كتابه يحتوي على فصل حول الرسول بولس والمسيحية. وقال أنه، وبعد قراءة ذلك الفصل، لفـت انتباهـه أن الفصل بدأ بوصف لشاول الطرسوسي وانتهى بوصف حياة الرسول بولس. ولاحظ أيضا بأن ما حدث بين المرحلتين غير واضح أو مفهوم. ففتحت الكتاب المقـدس على سفر أعمال الرسل، الذي يتحدث عما حدث بعد قيامة السيد المسيح وظهوره لبولس، وعندها أدرك ذلك الطالب بأن هذا هو أكثر تفسير منطقي للتغيـر الـذي حصل في حياة بولس. وقبل الطالب فيما بعد يسوع مخلصا شخصيا له.

كتب الياس أندروز: "لقد وجد كثيرون في التحول الجـذري الـذي حـدث لفريسي الفريسيين، أعظم دليل مقنع على صحة الديانة التي اعتنقها وقوتها، وعلى القيمة المطلقة لشخص المسيح ومكانته." كتب آرتشيبولد، وهو أستاذ في جامعـة أبردين عن بولس: "تبدو إنجازات الإسكندر الكبير ونابليون الى جانب إنجـازات بولس باهتة في أهميتها." يقول كليمنت بأن بولس قيد بالأغلال سبع مرات، وبشر بالإنجيل في الشرق والغرب، وغطى كل الغرب، ومات شهيدا على أيدي الحكام."

أكد بولس مرارا وتكرارا بأن يسوع الحي المقام غير حياته. لقد اقتنع بقـوة بقيامة المسيح من بين الأموات حتى أنه مات أيضا شهيدا من أجل معتقداته.

قرر أستاذان جامعيان في جامعة أوكسفورد، وهما جلبرت وسـت واللـورد ليتلتون، أن يحطما أساس الإيمان المسيحي. أراد وست أن يبرهن أن قيامة يسوع فكرة خاطئة، وأراد ليتلتون أن يثبت أن بولس لـم يتحول إلى المسيحية قط. لكن أبحاث كلا الأستاذين انتهت إلى نتائج معاكسة، واصبح الاثنان من أتبـاع يـسوع المتحمسين. كتب اللورد ليتلتون: "إن دراسة وافية لتحول القديس بولس ورسوليته كافية وحدها للبرهنة على صحة الوحي الإلـهي للمسيحية." وقـد خلـص إلـى الاستنتاج بأنه إذا كانت خمس وعشرون سنة التي قضاها بـولس مـن المعانـاة وخدمة المسيح حقيقة، فإن تحول بولس حقيقي، لأن كل شيء فعله بـدأ بتغيـر مفاجئ. وإذا كان تحوله أو تجديده حقيقيا، فإن معنى ذلك أن يسوع قام مـن بـين الأموات، لأنه نسب كل ما كان وما فعله إلى رؤيته للمسيح المقام.

الفصل الثامن

هل يمكن أن يرى تقيك فسادا؟

سألني أحد الطلبة في جامعة أوروغواي: "لماذا لا تستطيع يا أستاذ ماكدويل دحض المسيحية وتفنيدها؟" فأجبته، "لسبب بسيط، وهو أني عاجز عن إيجاد تفسير مقنع لحدث تاريخي، وهو قيامة يسوع المسيح." بعد أن أمضيت أكثر من سبعمائة ساعة في دراسة هذا الموضوع والتحقيق الكامل في أسسه، توصلت إلى نتيجة أنه إما أن تكون قيامة يسوع إحدى أكثر الخدع الشريرة الخبيثة التي انطلـت علـى الناس أو أنها أهم حقيقة تاريخية.

موضوع قيامة يسوع يخرج هذا السؤال "هل المسيحية صحيحة!" من دائـرة الفلسفة لتجعل منه سؤالا تاريخيا. هل تملك المسيحية أساسا تاريخيا مقبولا؟ هـل يوجد لدينا دليل كاف يسوغ الإيمان بالقيامة؟

هذه هي بعض الحقائق المعلقة بالقيامة: يسوع الناصري، نبي يهودي زعـم أنه المسيح الذي تنبأت عنه الأسفار اليهودية، قبض عليه وأدين كمجرم سياسـي وصلب. وبعد ثلاثة أيام من دفنه ذهبت بعض النسوة إلى قبره فوجـدن أن جثتـه

اختفت. زعم تلاميذه أن اللـه أقامه من بين الأموات وأنه ظهر لـهم عدة مرات قبل صعوده إلى السماء.

هذه هي القاعدة التي انتشرت منها المسيحية عبر الإمبراطورية الرومانيـة، واستمرت في إحداث تأثير كبير على مر القرون.

فهل حدثت القيامة حقا؟

دفن يسوع

لف جسد يسوع، حسب عادات الدفن اليهودية، بحوالي ٤٥ كيلوغراما مـن الحنوط المعطر الممزوج من مواد مختلفة صمغية وضعت بين طيات الكفن حول جثته. وبعد ان وضعت الجثة في قبر صخري قوي، دحرج باب حجـري ضـخم جدا يزن حوالي طنين بواسطة روافع ليسد باب القبر. وقد وضع حراس رومانيون منضبطون لحراسة القبر. وكان الخوف من العقاب "يدفعهم إلى الاهتمام الكامـل بواجباتهم دون أي تقصير، خاصة في ساعات المناوبة الليلية."

شمع هؤلاء الحراس القبر بالختم الروماني الذي يدل على القـوة والـسلطة الرومانية. وكان القصد من وراء التشميع منع عمليات التخريب والـسطو. وهـذا يعني أن كل شخص يحاول دحرجة الحجر عن مدخل القبر يعتبر متعـديا علـى القانون الروماني عند قيامه بكسر الشمع ويستحق الموت. لكن القبر كان فارغا.

القبر الفارغ

قال أتباع يسوع انه قام من بين الأموات. وذكروا انه ظهر لـهم خلال فترة أربعين يوما. "أراهم أيضا نفسه حيا ببراهين كثيرة" وفي بعض الترجمات "براهين

مقنعة" أو "براهين أكيدة." (أعمال١:٣) قال الرسول بولس بأن يسوع ظهر لأكثـر من ٥٠٠ شخص من أتباعه مرة واحدة، وأن معظم هـؤلاء مـا زالـوا أحيـاء وبإمكانهم تأكيد ما كتبه بولس.

يقول أ. م. رامزي: "أؤمن بالقيامة، وأحد الأسباب التي تدعوني إلى ذلك هو وجود سلسلة من الحقائق لا يمكن تفسيرها بدون القيامة." أصبح موضـوع القبـر الفارغ "أشهر من أن ينكر." يقول بول ألثيوس بأنه "كان من المـستحيل الإيمـان بالقيامة بين الناس في القدس ليوم واحد أو لساعة واحدة لو لـم يتحقـق جميـع المهتمين من حقيقة فراغ القبر."

ويستنتج بولس ل. ماييز: "إذا قمنا بتقويم الأدلة بعناية وموضوعية، فإن من المبرر، حسب قواعد البحث التاريخي، أن نستنتج بان القبر الذي دفن فيه يـسوع كان فارغا فعلا في صباح أول فصح. ولـم يكتشف حتى الآن أي دليل من أيـة مصادر أدبية أو النقوش أو علـم الآثار يمكن أن يدحض هذه الحقيقة."

كيف يمكننا أن نفسر حقيقة القبر الفارغ؟ هل يمكن أن يعزى ذلـك لـسبب طبيعي؟ يؤمن المسيحيون، بناء على أدلة تاريخية قاطعة، بأن يسوع قام في الجسد في زمان ومكان معينين بقوة اللـه غير الطبيعة. قد تكون هنالك صعوبات كبيرة أمام الإيمان بها، لكن المشاكل المتضمنة في عدم الإيمان بها تضع أمامنا صعوبات اكبر.

كان للموقف عند القبر بعد القيامة دلالة هامة. فقد كسر الخـتم الرومـاني، وكان العقاب الطبيعي لذلك هو أن يصلب الذين قاموا بذلك بشكل مقلوب. ولقد تم رفع الحجر وتم إبعاده ليس عن المدخل فحسب: وإنما عن منطقة القبر، فكأنه رفع وحمل بعيدا. لاذت وحدة الحرس بالهرب. يذكر لنا جوستين في كتابه "دايجـست"

ثـمانية عشرة جريمة يمكن أن تعاقب عليها وحدة الحرس بالموت. وتشمل النوم أثناء الحراسة أو ترك موقع الحراسة.

جاءت النساء ووجدن القبر فارغا، فأصبن بالذعر ورجعن وأخبرن الرجال. هرع بطرس ويوحنا إلى القبر، فسبقه يوحنا، لكنه لـم يدخل القبـر. نظـر إلـى الداخل، ولـم ير غير الأكفان الفارغة لقد اخترقها جسد المسيح وخرج إلى وجود جديد. وعليك أن تعترف بأن أمرا كهذا سيجعلك مؤمنا، ولو مؤقتا على الأقـل.

إن النظريات التي قدمت لتفسير القيامة باسباب طبيعية نظريـات ضـعيفة، وهي في الواقع تساعدنا على بناء ثقتنا على حقيقة القيامة.

هل كان قبرا آخر؟

تفترض نظرية اقترحها كيرسوب ليك بأن النساء اللواتي أبلغن عـن الجثـة المفقودة ذهبن خطأ إلى قبر آخر. وإذا كان الأمر صحيحا، فلا بد أن التلاميذ الذين انطلقوا للتحقق من أقوال النساء ذهبوا إلى هذا القبر الآخر أيضا. غير أننا نستطيع التأكد من أن السلطات اليهودية التي طالبت بوضع حراسة رومانية على القبر لمنع سرقة الجثة، لا يمكن أن تخطئ فيما يتعلق بموقعه.

وينطبق نفس الأمر على الحراس الرومانيين، لأنهم كانوا موجـودين فـي الموقع. لو كانت المسألة مسألة قبر آخر لسارعت السلطات اليهودية إلـى إبـراز جسده من القبر الصحيح، لإسكات أية شائعة عن القيامة بشكل فعال وإلى الأبد.

تزعم محاولة أخرى بأن ظهورات يسوع بعد القيامة كانت إمـا أوهامـا أو هلوسات. ولا تتفق هذه النظرية مع المبادئ النفسية التي تحكم ظهور الهلوسـات، أو مع الوضع التاريخي أو حالة الرسل العقلية. أين كانت الجثة الحقيقية إذا، ولماذا لـم تبرز؟

نظرية الإغماء

تقول نظرية الإغماء التي أشاعها فينتوريني قبل عـدة قـرون، ومـا زال بعضهم يشير إليها اليوم، بأن يسوع لـم يمت فعلا، وإنما أغمي عليه من شـدة الإعياء وفقدان الدم. واعتقد الجميع أنه مات. لكنه انتعش فيما بعد، فظن التلاميـذ أن ذلك قيامة.

وقد قضى المفكر المتشكك ديفيد فريدريك شتراوس ـ الذي لا يؤمن نفـسه بالقيامة ـ على كل رأي بأن يسوع عاد من حالة إغماء: "مـن المـستحيل علـى إنسان سرق وهو نصف ميت من القبر، زحف في الليل ضعيفا مريضا محتاجـا لعناية طبية وتضميد لجراحه وتقوية واهتمام، واستسلم لآلامه أن يعطي التلاميـذ انطباعا بأنه غلب الموت والقبر، وأنه رئيس الحياة.. انطباعا يشكل أساسا لخدمتهم في المستقبل. لقد كان من شأن مثل هذا الانتعاش من الإغماء أن يضعف التـأثير الذي تركه فيهم في الحياة وفي الموت يقدمه لـهم بصوت رثائي حزين. لكن هذا الانطباع لن يكون قادرا بأي شكل من الأشكال على تحويل حزنهم إلى حماس وأن يسمو باحترامهم له إلى مرتبة العبادة."

الجثة المسروقة؟

تقول نظرية أخرى بأن الجثة سرقت أثناء نوم الحرس.

إن حزن التلاميذ وجبنهم يدحضان بشدة احتمال تحولـهم المفاجئ إلى هـذه الدرجة من الشجاعة والجرأة بحيث يواجهون مفرزة مـن الجنـود عنـد القبـر ويسرقون الجثة. لـم يكونوا في حالة نفسية تسمح لـهم بمحاولة شيء من هـذا القبيل.

علق جي. ن. د. أندرسون عميد كلية الحقوق في جامعة لندن، ورئيس قسم القانون الشرقي في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية ومدير معهد الدراسات القانونية المتقدمة في جامعة لندن على فكرة سرقة التلاميذ لجثة يسوع بقوله: "سيكون هذا العمل مناقضا تماما لكل ما نعرفه عنهم: عن تعاليمهم الأخلاقي، ونوعية حياتهم وثباتهم أمام الاضطهاد والمعاناة. كما أن ذلك لا يفسر شيئا من تحولهم المثير من مجموعة من الهاربين المحبطين واهني العزيمة إلى شهود لا يمكن لأية معارضة أن تكم أفواههم."

إن النظرية القائلة بأن السلطات اليهودية او الرومانية قامت بتغيير موضع جثة يسوع ليست تفسيرا اكثر معقولية للقبر الفارغ من سرقة التلاميذ لها. لو كانت الجثة موجودة تحت تصرف السلطات أو أنهم عرفوا مكانها، فلماذا لم يبينوا أنهم أخذوها عندما كرز التلاميذ بقيامة يسوع في أورشليم؟

وإذا كانوا قد فعلوا ذلك، فلماذا لم يحددوا المكان الذي توجد فيه الجثة؟ لم لم يخرجوا الجثة ويضعوها على عربة لتعبر في وسط أورشليم ليراها كل الناس؟ لقد كان من شأن هذا الإجراء أن يحطم المسيحية في مهدها.

يعلق الدكتور جون وارويك مونتغمري: "إنه لأمر يتجاوز حدود العقل والتصديق بأن يقال بأن المسيحيين الأوائل تمكنوا من تأليف مثل هذه الرواية ونشرها بين أشخاص كان في مقدورهم دحضها بمجرد إبرازهم جثة يسوع."

برهان القيامة

يقول الأستاذ توماس آرنولد رئيس جامعة رجبي منذ ١٤ عاما، ومؤلف "تاريخ روما" الذي يقع في ثلاث مجلدات، وأستاذ درس التاريخ الحديث في جامعة أوكسفورد، وهو مطلع تماما على قيمة الدليل في تقرير الحقائق التاريخية: "اعتدت

لسنوات طويلة دراسة تواريخ العصور الأخرى ودراسـة الأدلـة التـي قـدمها الأشخاص الذين كتبوا عنها وتقويم هذه الأدلة. وأنا متيقن بأنه لا توجد حقيقة فـي تاريخ الجنس البشري برهنت بأدلة مختلفة أفضل وأوفى من تلك الآية التي أعطانا إياها اللـه بأن المسيح مات وقام ثانية من بين الأموات، وهذه حقيقـة لا بـد ان يقبلها كل باحث منصف."

يقول العالـم الإنجليزي بروك فوس ويسكوت: "إذا أخذنا الأدلـة مجتمعـة، فليس من المبالغة القول بأنه لا توجد حادثة تاريخية مدعومة ببراهين أفضل وأكثر تنوعا من قيامة المسيح. ولا يوجد أي نقص أو عيب في الأدلة المقدمة عليها سوى الافتراض المسبق بعدم صحتها."

الدكتور سايمون جرينليف أحد أعظم العقول القانونية في هذا القرن. وكـان أستاذ القانون الملكي في جامعة هارفارد. كتب عنه هـ. و. هـ. نـوتس فـي "قاموس سير الأعلام الأمريكيين": "يعود الفضل في ارتقاء كلية حقوق هارفـارد الى مكانتها البارزة بين كليات الحقوق في الولايات الأمريكيـة لجهـود سـبوري (أستاذ الحقوق السابق) وجرينليف." ألف جرينليف أثناء تقلده منصب أستاذ القانون في جامعة هارفارد مجلدا شرح فيه القيمة القانونية لشهادة الرسل بقيامة المـسيح. وقد لاحظ بأنه كان يستحيل على الرسل "أن يثابروا على تأكيد الحقائق التي رووها لو لـم يكن يسوع قد قام فعلا من بين الأموات، ويعرفوا ذلك كحقيقة مؤكدة كأية حقيقة أخرى." وخلص جرينليف إلى القول بأن قيامة يسوع كانـت أحـد أفـضل الحوادث التاريخية توثقيا حسب قوانين الأدلة الشرعية المعمول بها فـي محـاكم العدل.

شرع محام آخر، واسمه فرانك موريسون، في دحض الأدلة على القيامـة. اعتقد بأن حياة يسوع كانت إحدى أفضل السير التي عرفها التاريخ. لكن بالنـسبة للقيامة، فقد اعتقد أن أحدهم دس هذه الأسطورة في قصة يسوع. فعـزم علـى أن

يكتب سجلا للحوادث التي حصلت في أواخر الأيام التي عاشـها يـسوع علـى الأرض. وقرر سلفا أن ينبذ فكرة القيامة، واعتقد بأن منهجا عقليا ذكيا سيسفر عن إسقاط القيامة من الحساب. غير أنه اضطر، وهو يتعامل مـع الحقـائق بخلفيتـه وتدريبه القانونيين، إلى تغيير قناعاته. وكتب أخيرا كتابا من اكثر الكتـب مبيعـا بعنوان "من دحرج الحجر؟" وكان عنوان أول فصل "الـسفر الـذي رفـض أن يُكتب." وتتعامل بقية الفصول بشكل حاسم مع أدلة قيامة يسوع.

يقول جورج إلدون لاد، "إن التفسير المعقول الوحيد لـهذه الحقائق التاريخية هو أن اللـه أقام يسوع جسديا." يستطيع المؤمن بيسوع المسيح أن يثق ثقة كاملة، كما كان الأمر مع المسيحيين الأوائل، بأن إيمانـه مبنـي لا علـى خرافـة أو أسطورة، وإنما على الحقيقة التاريخية المتينة للمسيح المقام والقبر الفارغ.

غير أن أهم نقطة هي أنه يمكن لكل مؤمن أن يختبر قوة المسيح المقام في حياته اليوم. يستطيع أولا أن يتيقن من أن خطاياه مغفورة. ويستطيع ثانيا أن يتأكد من حصوله على الحياة الأبدية وقيامته شخصيا من القبر. ويستطيع ثالثا أن يتحرر من حياة فارغة بلا معنى ويتحول إلى خليقة جديدة في يسوع المسيح.

ما هو تقويمك للموقف، وما هو قرارك؟ ما رأيك في القبر الفارغ؟ بعـد أن قام اللورد دارلينغ رئيس قضاة إنجلترا سابقا بفحص الأدلة من وجهة قـضائية قال: "هناك أدلة قاطعة، إيجابية وسلبية، حقيقية وظرفية، بحيث لا يمكـن لأيـة محكمة عاقلة في العالـم إلا بأن تصدر حكما بأن قصة القيامة حقيقة."

الفصل التاسع

فليتفضل المسيح الحقيقي بالوقوف!

كان ليسوع المسيح وثائق اعتماد مختلفة لإثبات إعلانه بأنه المسيح المنتظر، ابن اللـه. وسأبحث في هذا الفصل إحدى هذه الوثائق التي يجري غالبا إغفالـها. وتتعلق بإحدى أعمق الحقائق، ألا وهي تحقق النبوءات في حياته.

استشهد يسوع مرارا وتكرارا بنبوءات العهد القديم لإقامـة الحجـة علـى مزاعمه بأنه المسيح المنتظر. تقول كلمة اللـه في غلاطية ٤:٤ "ولكن لما جـاء ملء الزمان أرسل اللـه ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس." نجد هنـا دليلا على النبوءات التي تمت وتحققت في يسوع المسيح." ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لـهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" لوقا ٢٤:٢٧.

قال يسوع لهم: "هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بـد أن يـتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير" (لوقا ٢٤:٤٤).

قال "لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عنـي" (يوحنـا ٥:٤٦). وقال "إبراهيم تهلل بأن يرى يومي" (يوحنا ٨:٥٦). وقد ركـز الرسـل، كتاب العهد الجديد، على تحقيق النبوءات لإثبات مزاعم يسوع بأنـه ابـن اللـه

والمخلص والمسيح. "وأما اللـه فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألـم المسيح قد تممه هكذا" (أعمال ١٨:٣). "فدخل بولس إليهم حسب عادته وكان يحاجهم ثلاثة سبوت من الكتب موضحا ومبينا أنه كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من بين الأموات. وأن هذا هو المسيح يسوع الذي أنا أنادي لكم به" (أعمال ٢:١٧-٣).

"فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب." (١ كورنثوس ٣:١٥-٤).

توجد في العهد القديم ستون نبوءة رئيسية وحوالي مائتان وسبعون نبوءة فرعية مختصة بالمسيح المنتظر، تحققت كلها في شخص واحد وهو يسوع المسيح. ومن المفيد أن ننظر إلى كل هذه النبوءات المتحققة في المسيح "كعنوان" له. ربما لم تلحظ أهمية التفاصيل المتعلقة باسمك وعنوانك، غير أن هذه التفاصيل هي التي تميزك عن بلايين البشر الذين يسكنون هذا الكوكب.

عنوان في التاريخ

ولقد كتب اللـه "عنوانا" في التاريخ اكثر تفصيلا ليميز ابنه، المسيح المنتظر، مخلص الجنس البشري، عن أي شخص آخر عاش في التاريخ سواء كان في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. ويمكننا أن نجد تفصيلات هذا العنوان في العهد القديم الذي كتب على مدى فترة تزيد عن ألف سنة. يحتوي العهد القديم على أكثر من ثلاثمائة إشارة حول مجيئه. وإذا استخدمنا علم الاحتمالات، فإن فرصة إتمام ثماني وأربعين منها على شخص واحد هي ١ من ١٠ أس ١٥٧.

ومما يزيد من صعوبة مهمة مطابقة العنوان الذي وضعه اللـه لـشخص واحد هو أن كل النبوءات المتعلقة بالمسيح المنتظر قد قيلت قبل ما لا يقـل عـن أربعمائة عام من الموعد المعين لمجيئه. ربما لا يوافق البعض على هذا فيقولـون بأن هذه النبوءات كتبت بعد زمن المسيح ولفقت لتتفق مع حياته. وقد تبـدو هـذه الفكرة معقولة إلى أن ندرك أن الترجمة السبعينية أي الترجمة اليونانية للعهد القديم العبري قد تمت ما بين ١٥٠-٢٠٠ ق. م. تظهر هذه الترجمة اليونانية أنه كانـت هنالك فجوة مائتي عام على الأقل بين النبوءات المسجلة وتحققها في المسيح.

من المؤكد أن اللـه كتب "عنوانا" في التاريخ لا يمكن أن يحققه إلا المسيح. لقد ادعى حوالي أربعون شخصا انهم المسيح المنتظر من اصل يهـودي. ولكـن واحدا فقط استشهد بالنبوءات التي تحققت فيه لإثبات مزاعمه. وقد كان لديه مـن أوراق الاعتماد والبراهين ما يدعم هذه المزاعم.

ما هي بعض هذه التفاصيل؟ وما هي بعض الحوادث التي كـان لا بـد أن تسبق ظهور ابن اللـه وتتزامن معه؟

علينا أن نرجع أولا إلى سفر التكوين ١٥:٣ حيث نجد أول نبوة عن المسيح المنتظر. يتحدث الكتاب المقدس عن شخص وحيد "يولد من نسل المرأة" - بينمـا الآخرون مولودون من نسل آدم. نجد هنا أن نسل المرأة سيأتي إلى العالـم ويبطل أعمال الشيطان (يسحق رأس الحية).

نجد في الإصحاحين التاسع والعاشر من سفر التكوين بأن اللـه قد ضيق هذا العنوان وزاده تحديدا. كان لنوح ثلاثة أبناء: سام ويافث وحام. ويمكننا اليـوم أن نرجع أصل كل أمم الأرض إلى هؤلاء الرجال الثلاثة. لكن اللـه استثنى ثلثيهمـا من نسب المسيح. فقد قرر أن المسيح سيأتي من ذرية سام.

ثم نجد أن اللـه الذي استمر يعمل عبر التـاريخ يختـار رجـلا مـن أور الكلدانيين يدعى إبراهيم. وقد اصبح اللـه اكثر تحديدا في وعـده بـأن المـسيح سيكون أحد أحفاده. وقال اللـه بأن كل قبائل الأرض وأممها ستتبارك من خـلال إبراهيم. كان لإبراهيم ابنان: اسحق وإسماعيل. غير أن كثيرين من نسل إبـراهيم لـم يشملوا بالوعد عندما اختار اللـه ابنه الثاني اسحق.

كان اسحق ولدان: يعقوب وعيسو، فاختار اللـه نسل يعقوب. وكان ليعقوب اثنا عشر ولدا جاء منهم أسباط إسرائيل الإثنا عشر، لكن اللـه اختار سبط يهـوذا ليأتي المسيح من نسله مستثنيا بذلك بقية الأسباط. ومن بين سـبط يهـوذا، وقـع الاختيار الإلـهي على نسل يسى. ويستطيع المرء هنا أن يـرى تعـاظم فكـرة الاحتمالات.

كان ليسى ثـمانية أولاد. لكننا نجد في ٢صموئيل ٧:١٢-١٦ وإرميا ٢٣:٥ بأن اللـه استثنى سبعة أثـمان نسل يسى من نسب المسيح. فنحن نقرأ بأن رجل اللـه هذا لن يكون فقط من نسل المرأة، وذرية سام، ومن الأمة اليهودية، ومـن ذرية اسحق ويعقوب وسبط يهوذا، ولكنه سيكون أيضا من بيت داود.

تقول نبوة يرجع تاريخها إلى عام ١٠١٢ ق. م. بأن يدي هذا الرجل ورجليه ستثقبان (أي أنه سيصلب). ولقد كتب هذا الوصف قبل ٨٠٠ عام من بـدء تبنـي الرومان لعقوبة الصلب.

ويضيف إشعياء ٧:١٤ بأنه سيولد من عذراء: أي أنه ستكون هنالـك ولادة طبيعية لحمل غير طبيعي. وهذا أمر أو مقياس يتجاوز حدود التخطيط والـسيطرة البشرية. تصف نبوءات كثيرة مسجلة في إشعياء والمزامير المنـاخ الاجتمـاعي الذي سيعيش فيه رجل اللـه هذا، وردود الفعـل التـي سـيواجهها: فسترفـضه خاصته، أي اليهود، وسيؤمن به الأمميون وسيكون هناك من سيـسبقه ليعـد لـه

الطريق (إشعياء ٤٠:٣، ملاخي ٣:١)، صوت صارخ في البريـة يعـد طريـق الرب، وهو يوحنا المعمدان.

ثلاثون قطعة من الفضة

لاحظ أيضا أن هنالك نبوءات فرعية سبعة تساهم في تضييق هذا العنـوان. يشير اللـه في أن المسيح: ١) سيتعرض للخيانة (مزمور ٤١:٩) ٢) مـن قبـل صديق (مزمور ٥٥:١٣) ٣) مقابل ثلاثين قطعة ٤) من الفضة (زكريـا ١١:١٢) وأنها سوف ٥) تلقى على أرض ٦) الـهيكل و ٧) تستخدم في شراء حقل فخاري (زكريا ١١:١٣).

نجد في ميخا ٥:٢، أن اللـه يحدد مدينة بيت لحم التي يقل عدد سكانها عن الألف نسمة لتكون مسقط رأس المسيح المنتظر مستثنيا بذلك كـل مـدن الأرض الأخرى.

ثم يحدد من خلال سلسلة من النبوءات الإطار الزمني الـذي سـيأتي فيـه. فهنالك أربعة أعداد كتابية بالإضافة إلى ملاخي ٣:١، تشترط أن يأتي المسيح أثناء وجود هيكل أورشليم. ولـهذا أهمية عظيمة عندما ندرك أن الـهيكل دمـر عـام ٧٠ ب. م. ولـم يعد بناؤه منذ ذلك الحين. إن النسل المحدد للمسيح ومكان ولادته وزمنها وطريقتها، وردود فعل الناس نحوه والخيانة التي سيتعرض لـها، وطريقة موته، هذه كلها مجرد جزء من مئات التفاصيل التي شكلت "العنوان" الذي يحـدد شخصية ابن اللـه، المسيح، مخلص العالـم.

اعتراض: لقد تـمت هذه النبوءات بالمصادفة

قد يعترض أحدهم بقوله "قد تجد بعض هذه النبوءات متحققة في جون كينيدي أو مارتن لوثر كنغ أو جمال عبد الناصر .. إلخ."

وهذا صحيح. فإنك قد تجد نبوءة أو نبوءتين تنطبقان على أشخاص آخرين، ولكنك لن تجد النبوءات الستين الرئيسية والمائتين والسبعين نبوءة الفرعية منطبقة عليهم. ولقد عرض فرد جون ميلداو مدير دار النصر المسيحية للنشر فـي دنفـر جائزة قدرها ألف دولار لكل من يستطيع أن يبين أن هنالك شخصا تحققـت فيـه نصف النبوءات التي تتحدث عن المسيح في كلا العهدين القديم والجديد.

كتب هـ. هارولد هارتزلر رئيس المنظمة العلمية الأميركية في تمهيد لكتاب ألفه بيتر و. ستونر بعنوان "العلـم يتحدث": لقد قامت لجنة من الجمعية العلميـة الأميركية بمراجعة دقيقة لـهذا الكتاب الذي ألفه بيتر و. ستونر، كما قامت اللجنة التنفيذية لنفس الجمعية بمراجعة مماثلة لكتابه، ووجدت أنـه بـشكل عـام دقيـق وموثوق فيما يتعلق بالمادة العلمية المقدمة. فالتحليل الرياضي الذي يعتمده المؤلف مبني على مبادئ الاحتمالات المنطقية تماما. ولقد طبق الأستاذ ستونر هذه المبادئ بطريقة صحيحة ومقنعة."

والاحتمالات التالية المأخوذة من ذلك الكتاب تثبت أن علـم الاحتمالات ينفي مبدأ الصدفة. يقول ستونر بأنه باستخدام علـم الاحتمالات الحديث بالنسبة لثماني نبوءات "نجد أن فرصة تحقق كل هذه النبوءات الثمانية في شخص واحد هـي ١ مـن ١٠ أس ١٧." "أي ١ مـن ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠." وحتـى يساعدنا ستونر على استيعاب هذا الاحتمال المذهل فقد أعطانا الافتراض التالي:

إذا أخذنا ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولارا فضيا وغطينا بهـا ولاية تكساس، فإنها ستغطيها إلى عمق قدمين. ثم وضعنا علامة على أحد هـذه الدولارات ووضعناه داخل هذه الكتلة الـهائلة وقمنا بتحريكها كاملة. ثم عـصبنا عيني رجل وطلبنا إليه أن يتوجه حيثما شاء شريطة أن يعثر علـى الـدولار ذي

العلامة. فما هي فرصته في العثور على هذا الدولار؟ هذه هي تماما نفس الفرصة التي كانت لدى الأنبياء لكتابة ثـماني نبوءات وتحققها في أي شخص، شريطة أن يكونوا قد كتبوها بحكمتهم الخاصة.

"لقد كتبت هذه النبوءات إما بوحي من اللـه أو أن الأنبيـاء كتبوهـا كمـا اعتقدوا أنها يجب أن تكتب. ولقد كانت لهم في مثل هذه الحالة فرصة واحدة مـن ١٠ أس ١٧ حتى تتحقق في أي شخص لكنها تحققت جميعا في المـسيح. وهـذا يعني أن تحقق هذه النبوءات الثمانية وحدها يثبت أن اللـه أوحـى بكتابـة هـذه النبوءات بشكل محدد لا يفتقر إلا لفرصة واحدة مـن ١٠ أس ١٧ حتـى يكـون مطلقا."

إعتراض آخر

يقول اعتراض آخر بأن يسوع تعمد إتمام النبوءات اليهودية فيه. وقد يبـدو هذا الاعتراض مقبولا إلى أن نعرف أن كثيرا من تفاصيل مجيئه كانـت خـارج نطاق السيطرة البشرية بشكل كامل فهنالك مثلا مكان ولادته الذي لـم يكن بإمكان يسوع أن يفرضه على أمه وهو ما زال في أحشائها. وعندما سأل هيرودس رئيس الكهنة والكتبة، "أين يولد المسيح؟" أجابوا "في بيت لحم اليهودية، لأنه هكذا مكتوب بالنبي." (متى ٢:٥).

وهذا ينطبق أيضا على زمن مجيئه وطريقة ولادته وخيانته من قبل يهوذا وثـمن تلك الخيانة، وردود فعل الناس واستهزاء الناس به وبصقهم عليه. وإلقاء القرعـة على ثيابه، وعدم تمزيقهم ثوبه .. إلخ. لقد كانت نصف النبوءات أكبر من قدرتـه على تحقيقها. لـم يكن بإمكانه أن يدبر أن يكون من نسل المرأة ومن ذرية سـام وأحفاد إبراهيم .. إلخ. ولـهذا فإنه لا غرابة في أن يشير يسوع والرسـل الـى تحقيق النبوءات لإثبات مزاعمه.

لماذا يتكبد الله كل هذه المشقات؟ أعتقد أنه أراد أن يوفر ليسوع المسيح كل الأوراق الثبوتية اللازمة عند مجيئه إلى العالم. غير أن أكثر الأشياء إثارة هو أن يسوع جاء ليغير حياة الناس. أثبت وحده صحة مئات من نبوءات العهد القديم حول مجيئه. وهو الوحيد الذي يستطيع إتمام أعظم النبوءات بالنسبة لكل الذين يقبلونه - وهي وعد الحياة الجديدة: "وأعطيكم قلبا جديدا، وأجعل روحا جديدة في داخلكم... إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديدا."

الفصل العاشر

أليست هنالك طريقة أخرى؟

سألني مؤخرا أحد طلاب جامعة تكساس،"ما الذي يجعل من يسوع الطريـق الوحيد لإقامة علاقة مع اللـه؟" لقد بينت أن يسوع قال عن نفـسه أنـه الطريـق الوحيد إلى اللـه، وأن شهادة الأسفار والرسل موثوقة، وأن هنالك ما يكفي مـن الأدلة لتبرير الإيمان بيسوع مخلصا وربا. وبالرغم من كل هذه الإيـضاحات مـا زال هنالك سؤال يتبادر في ذهن الكثيرين وهو: "ولماذا يسوع بالذات؟ أليس هنالك طريق آخر لإقامة علاقة مع اللـه؟ ماذا عن بوذا أو كونفوشـيوس أو الأنبيـاء الآخرين؟ ألا يستطيع الفرد أن يعيش حياة صالحة وحسب؟ وإذا كان اللـه علـى هذا النحو من المحبة، أفلا يقبل كل الناس كما هم؟"

قال لي رجل أعمال، "من الواضح أنك أثبت أن يسوع المسيح هو ابن اللـه لكن، ألا توجد طرق أخرى للوصول إليه بدون يسوع؟"

يشير السؤالان السابقان إلى أن الكثير من الناس اليوم يتساءلون عن سـبب أهمية إيمان الإنسان بيسوع مخلصا وربا شخصيا حتى تكون له علاقة مع اللـه ويختبر غفران الخطايا. أجبت الطالب الجامعي بقولي بأن أناسا كثيرين لا يفهمون

طبيعة اللـه. والسؤال الذي يطرح عادة هنا هو "كيف يمكن لإله محب أن يـسمح لإنسان خاطئ أن يذهب إلى الجحيم؟" وعندها أجاوب بسؤال، "كيف يمكـن لإلـه قدوس عادل بار أن يسمح لإنسان خاطئ أن يكون في محضره؟" لقد أدى سـوء الفهم لطبيعة اللـه وشخصيته إلى كثير من المـشاكل اللاهوتيـة والأخلاقيـة. كثيرون يفهمون اللـه على أنه إله محبة ولا يتعمقون في فهمه أكثر مـن ذلـك. المشكلة هي أن اللـه ليس إله محبة فقط. فهو أيضا إله بار وعادل وقدوس.

نحن نعرف اللـه من خلال صفاته. والصفة ليست جزءا من اللـه. كنـت أعتقد سابقا بأني إذا أخذت كل صفات اللـه - القداسة والمحبة والعدل والبـر - وجمعتها معا، فسيكون حاصل المجموع هو اللـه. وهذا غيـر صـحيح. ليـست الصفة شيئا يشكل جزءا من اللـه. ولكنها شيء صحيح عن اللـه. فعندما نقـول مثلا بأن اللـه محبة، فإننا لا نعني أن جزءا من اللـه محبة، ولكننا نعنـي بـأن المحبة شيء أصلي فيه متفق مع طبيعته. فهو حينما يحب فإنما يعبر عن طبيعته.

سأتناول الآن مشكلة نشأت نتيجة لدخول البشرية في الخطية. قرر اللـه منذ الأزل أن يخلق الرجل والمرأة. وأعتقد أن الكتاب يشير إلى أنـه خلـق الرجـل والمرأة ليشاركاه محبته ومجده. لكن آدم وحواء تمردا عليـه واختـارا لنفـسيهما طريقا منفصلا عن اللـه ودخلت الخطية إلى الجنس البشري. أصبح الأفراد منـذ ذلك الحين خطاة أو منفصلين عن اللـه. هذا هو الموقف الذي وجد اللـه نفـسه فيه مع علمه المسبق به. فقد خلق الرجال والنساء ليشاركهم مجـده، غيـر أنهـم رفضوا مشورته ووصيته بازدراء واختاروا أن يخطئوا. ولهذا اقترب منهم بمحبته ليخلصهم. ولكن لأنه ليس إلها محبا فقط، بل إله قدوس وعادل وبار أيضا، فـإن من شأن طبيعته أن ترفض كل إنسان خاطئ. يقول الكتاب المقـدس، "لأن أجـرة الخطيئة هي موت." وهكذا فإنك تستطيع القول بأن اللـه واجه مشكلة.

اتخذ قرار ضمن الذات الإلهية - اللـه الإبن، اللـه الروح القدس - بـأن يتجسد ابن اللـه فيصبح إنسانا، ويكون اللـه - الإنسان. ويصف يوحنا هذا الأمر في الإصحاح الأول من الإنجيل المسمى باسمه حيث يقول بأن "الكلمة صار جسدا وحل (أو خيم) بيننا". كما تقول كلمة اللـه في الإصحاح الثاني من الرسالة إلـى أهل فيلبي بأن المسيح يسوع "أخلى نفسه" من المجد وأخذ هيئة إنسان.

كان يسوع اللـه - الإنسان. كان إنسانا كما لو أنه لـم يكـن اللـه، وكان اللـه كما لو أنه لـم يكن الإنسان. وقد اختار أن يعيش حيـاة خاليـة مـن الخطيئة، مطيعا للآب طاعة كاملة. لـم ينطبق عليه التصريح الكتابي بأن "أجـرة الخطية هي الموت." ولأنه لـم يكن إنسانا محدودا فحسب، وإنما كان اللـه غيـر المحدود أيضا، فقد كانت لديه قدرة غير محدودة على أن يحمل خطايا البشر.

وعندما ذهب إلى الصليب قبل حوالي ألفي عام، صب اللـه القدوس العادل البار غضبه على ابنه. وعندما قال يسوع "قد أكمل،" فقد عنى بأن طبيعـة اللـه العادلة والبارة قد رضيت. تستطيع القول بأن اللـه أصبح في تلك المرحلة حـرا في التعامل مع البشرية بمحبة بدون أن يضطر لإهلاك الإنـسان الخـاطئ، لأن طبيعة اللـه البارة قد أرضيت من خلال موت يسوع على الصليب.

أوجه عادة السؤال التالي للناس، "من أجل من مات المسيح؟" فيجيبون عـادة "من أجلي" أو "من أجل كل الناس." فأجيب "هذا صحيح، ولكن من أجل من مـات يسوع أيضا؟" فيجيء الجواب عادة "لا أدري." وعند ذلك أوضح بأنه مات من أجل اللـه الآب. فيسوع لـم يمت من أجلنا فحسب، ولكنه مات من أجل إرضاء الآب أيضا. وهذا ما يتحدث عنه الإصحاح الثالث من الرسالة إلى أهل روميـة عنـدما يتناول موضوع الكفارة. وتعني الكفارة أساسا تحقيق مطلب اللـه أو إرضاءه. لقد أرضى يسوع بموته على الصليب متطلبات القداسة والعدل لطبيعة اللـه الأساسية.

حصلت حادثة في كاليفورنيا قبل عدة سنوات تصلح كإيضاح لما فعله يسوع على الصليب ليحل المشكلة التي واجهت اللـه في التعامل مع خطيـة البـشرية. قامت شرطة السير بإيقاف سيارة تقودها امرأة شابة بـسبب سـرعتها الزائـدة. حررت لها الشرطة مخالفة سير، واستدعيت للمثول أمام القاضي. تـلا القاضـي أمامها لائحة الإتهام، وسألها "ماذا تقولين، هل أنت مذنبة أم بريئة؟" أجابت المرأة "مذنبة." وعندها حكم عليها القاضي بأن تدفع مائة دولار غرامة أو أن تسجن مدة عشرة أيام. ثم حدث شيء مدهش. فقد وقف القاضي وخلع ثوب القضاء وتقدم إلى الأمام وأخرج محفظته ودفع الغرامة.

فما هو تفسير ما حدث؟ كان القاضي أباها. أحب ابنته، غير أنه كان قاضـيا عادلا. كسرت ابنته القانون، فلم يستطع أن يقول لها: "لقد سامحتك لأنـي أحبـك كثيرا. بإمكانك أن تذهبي بسلام." لو فعل ذلك لمـا كان قاضيا عادلا بارا، ولمـا نفذ القانون الذي كان يدعمه ويمثله. لكنه أحب ابنته إلى درجة كبيرة حتى أنه كان مستعدا أن يخلع ثوبه القضائي ويتقدم إلى الأمام ليمثلها كأب لهـا ويـدفع عنهـا الغرامة.

توضح لنا هذه الحادثة إلى حد ما، ما فعله اللـه من أجلنا من خلال يـسوع المسيح. فقد أخطأنا. ويخبرنا الكتاب المقدس بأن "أجرة الخطية هي موت." فعلـى الرغم من محبة اللـه العظيمة لنا، أحبنا، لكونه إلها محبا، إلى درجة نزل معهـا من عرشه في هيئة الإنسان يسوع المسيح ليدفع الثمن عنا، وكان هذا الثمن موتـه على الصليب.

يسأل كثيرون عند هذه النقطة السؤال التالي "لـم لا يستطيع اللـه أن يغفـر لنا خطايانا وينتهي الأمر؟" قال مدير تنفيذي لمؤسسة كبيرة "غالبـا مـا يخطـئ الموظفون العاملون لدي، فأسامحهم." ثم أضاف قائلا، "هل تحاول أن تقـول لـي بأنني أفعل شيئا لا يستطيع اللـه أن يفعله؟" لا يدرك كثير من الناس أنـه حيثمـا

يوجد غفران يوجد ثـمن يدفع. ولأضرب مثلا على ذلك. فعندما تكـسر ابنتـي مصباحا، فإني كأب محب ومسامح، أجلسها على حضني وأطوقها بذراعي وأقول لها: " لا تبكي يا حبيبتي، فأبوك يحبك ويغفر لك." وحين يسمع الـشخص الـذي أقص عليه هذا المثل يقول لي: "هذا ما يتوجب على اللـه أن يفعله." وعندها أسأل "من يدفع ثـمن المصباح المكسور؟" وحقيقة الأمر هي أني أنا الذي أدفعه. هنالك دائما ثـمن للغفران. ولنقل إن أحدهم أهانك أمام الآخرين فقمت بمسامحته، فمـن يدفع ثـمن الإهانة؟ أنت.

هذا ما فعله اللـه. قال اللـه "أسامحك." لكنه دفع ثـمن مسامحتك بنفسه من خلال الصليب.

الفصل الحادي عشر

لقد غير حياتي

يسوع المسيح حي. وإن حقيقة كوني على قيد الحياة وأقوم بما أقوم به برهان على أن يسوع المسيح قام من الأموات.

كتب توما الإكويني: "هنالك عطش للسعادة والمعنى في كل نفـس." فعنـدما كنت في فترة المراهقة أردت أن أكون سعيدا. ليس في ذلـك عيـب. وأردت أن أكون أسعد إنسان في العالـم كله. كما أردت أن يكون لحياتي معنى. كانت لـدي أسئلة تحتاج إلى أجوبة. "من أنا؟ ما سبب وجودي وقصده؟ ما هو مصيري؟"

لكنني أردت أكثر من أي شيء آخر أن أكون أكثر الناس حرية في العالـم. والحرية ليست هي الانطلاق وعمل كل ما تريده. فأي شخص يستطيع أن يفعـل ذلك، وهنالك كثيرون يفعلونه. فالحرية هي أن تكون لديك القدرة على عمـل مـا تعرف أن عليك عمله. يعرف كثيرون ما يتوجب عليهم أن يفعلوه، لكن لا توجـد لديهم القدرة على فعله، لأنهم مقيدون.

وهكذا بدأت أبحث عن أجوبة. فوجدت أن معظم الناس منغمسون في التدين. فقمت بمـا هو متوقع مني وانطلقت نحو الكنيسة. ويبدو أني لـم أجـد الكنيـسة المناسبة. ولابد أن بعضكم يعرف ما أعنيه: ازداد إحساسي بالتعاسة. كنت أذهـب إلى الكنيسة في الصباح وبعد الظهر وفي المساء.

أنا شخص عملي دائما، فعندما أتأكد من عدم فائدة شيء فإني أنبذه. وهكـذا نبذت التدين. ولـم أحصل من التدين إلا على ربع الدولار الذي كنت أقدمه أثنـاء الاجتماع والعصير الذي يساوي خمسة وثلاثين سنتا الذي كانوا يقدمونه لنا علـى سبيل الضيافة بعد الاجتماع. وهذا هو تقريبا كل ما يحصل عليه كثير من النـاس من "التدين."

بدأت أسأل نفسي ما إذا كان الحل يتمثل في القيمة والاعتبار. فقـد يحـصل المرء على هذه القيمة وهذا الاعتبار إذا أصبح قائدا لقضية يتبناها ويكرس نفـسه لها ويصبح مشهورا. عندما التحقت بالجامعة وجدت أن قـادة الطلبـة يتحكمـون بالأمور المالية وأن لهم وزنا واحتراما. وهكذا فقد دخلت الانتخابـات وانتخبـت رئيسا لطلبة السنة الأولى. كم كان احساسي بنفسي عظيما فقد كنت أعرف الجميع، وكان الكل يحييني "مرحبا يا جوش"، كنت صاحب القرارات، حرا فـي صـرف أموال الجامعة وأموال الطلبة. وفي اختيار المتكلمين للندوات. لقد استمتعت بـذلك لفترة ولكن بدأ هذا الأمر يفقد بريقه وجاذبيته، كالأشـياء الأخـرى التـي قمـت بتجربتها. وعادة في صباح كل يوم اثنين كنت استيقظ من النوم مع صداع بـسبب حفلة الليلة السابقة، وكأن لسان حالي يقول، "ها قد مضت خمسة أيام أخرى." كنت أجاهد حتى أحتمل الأيام من الاثنين حتى الجمعة. كانت السعادة تحوم حولي ثلاث ليال في الأسبوع: الجمعة والسبت والأحد. ثم تبدأ الحلقة المفرغة من جديد.

لقد خدعتهم حقا في الجامعة. اعتقدوا بأنني أكثـر النـاس حظـا وسـعادة. واستخدمنا أثناء الحملات الانتخابية شعار "السعادة هي جوش." أقمت حفلات بمال

الطلبة أكثر من أي شخص آخر، ولكنهم لـم يدركوا قط أن سعادتي لا تختلف عن سعادة كثير من الناس. اعتمدت سعادتي على ظروفي الخاصـة، فعنـدما كانـت أحوالي تسير على ما يرام، كنت سعيدا، وعندما كانت تسوء، كنت سيئ المزاج.

كانت حياتي أشبه بقارب تتلاعب به الأمواج في منتصف المحيط، وكانـت ظروفي هي الأمواج. يوجد تعبير كتابي يصف هذا النوع من الحياة وهو الجحيم. غير أني لـم أستطع أن أجد شخصا يعيش حياته بطريقة أخرى، أو يدلني كيـف أعيش حياتي بطريقة مختلفة، أو يعطيني القوة على أن أفعل ذلك. أخـذ الجميـع ينصحونني بمـا يتوجب علي فعله، ولكن أحدا منهم لـم يستطع أن يعطيني القوة اللازمة لفعله. فبدأت أحس بالإحباط وخيبة الأمل.

أعتقد أني كنت من بين القلائل المعدودين في جامعاتنا الذين كانوا مخلصين في محاولة البحث عن معنى الحياة وحقيقتها وقصدها. ولـم أعثر علـى جـواب بعد، ولكني لـم أدرك ذلك في البداية. لاحظت وجود جماعـة صـغيرة داخـل الجامعة وحولـها. كانت المجموعة تتألف من ثـمانية طلاب وطالبات بالإضـافة إلى اثنين من أعضاء الـهيئة التدريسية، كان هنالك شيء مميز في حياتهم. بـدا انهم يعرفون لماذا إيمانهم وبماذا يؤمنون. وأنا بـطبيعتـي احـب عـشرة مثـل هؤلاء الناس بغض النظر عما إذا كانوا يتفقون معـي أم لا. إن بعـض أقـرب أصدقائي يعارضون بعض الأشياء التي أؤمن بها، لكني اعجب دائما بشخص ذي قناعات. (لا أقابل الكثيرين منهم، ولكني اعجب بهم عندما أقابلهم). ولـهذا فـإني أحس أحيانا براحة في رفقة بعض القادة الثوريين أكثر مما أحس في رفقة كثيـر من المؤمنين (المسيحيين). فبعض هؤلاء المؤمنين ضعفاء في إيمانهم حتى أننـي اعتقد أن خمسين بالمائة منهم يتنكرون كمسيحيين. لكن بدا لي أن أعـضاء هـذه الجماعة الصغيرة يعرفون طريقهم. وهذا شيء غير عادي بين الطلبة الجامعيين.

لـم يكتف هؤلاء الناس بمجرد التحدث عن المحبة، لكنهم أظهروها في كل نشاط اشتركوا فيه. فبدا أنهم يركبون الأمواج المتقلبة للحياة الجامعية، بينمـا بـدا الآخرون تحت هذه الأمواج. لاحظت شيئا واحدا يميزهم، وهو السعادة الظـاهرة عليهم. كما أن حالتهم النفسية أو مزاجهم لـم يكن يعتمد على الظروف. بدا أنهـم يملكون مصدر فرح داخلي دائم. كانوا فرحين الى حد أغاظني. فقد كانوا يملكون شيئا لا أملكه.

وهكذا، كأي طالب عادي، فعندما يكون ادى طالب آخر شيء لا أملكه أنـا فإني أسعى للحصول عليه. فالطلاب يحاولون تقليد بعضهم بعضا. وإني أعتقد أنه لو كان التعليم هو جواب مشكلتنا، لكانت الجامعة اكثر مجتمع قـويم خلقيـا فـي الوجود (وعندها لن نضطر لإقفال دراجاتنا في الجامعات خوفا عليها من السرقة). لكن الواقع هو غير ذلك. ولهذا فقد قررت أن أصادق هؤلاء الناس المثيرين.

بعد أسبوعين من اتخاذي لـهذا القرار، كنت أجلس مع هذه المجموعة حول طاولة في مبنى إتحاد الطلبة. وبدأ الحوار يتجه نحو اللـه. إن من عادة الأشخاص الذين يفتقرون إلى الإحساس بالأمان أن يميلوا إلى المقاومة حـين يكـون اللـه موضوع الحوار. يوجد في كل حرم جامعي أو مجتمع صغير شخص ثرثار يقول "المسيحية؟ ها ها ها. إنها للضعفاء وليست للمفكرين." (وكلما اتـسع فـم هـذا الثرثار، كان ذلك دليلا على اتساع الفراغ والخواء فيه).

كنت متضايقا منهم. وأخيرا نظرت إلى واحدة من أعضاء المجموعة، وهي طالبة جميلة (كنت أعتقد قبل ذلك أن كل المؤمنات غير جميلات) وأسندت ظهري إلى كرسي، لئلا أعطي انطباعا للآخرين بأني مهتم فعلا، وقلت لـها: "أخبريني. ما الذي غير حياتكم؟ لماذا تختلف حياتكم عن حياة غيركم من الطـلاب والقـادة والأساتذة في الجامعة؟ لماذا؟"

كانت الفتاة الشابة مقتنعة جدا بما تؤمن به. نظرت إلي بدون أيـة ابتـسامة وقالت كلمتين لـم أعتقد قط بأنني سأسمعهما كجزء من الحل في الجامعة. قالـت "يسوع المسيح" قلت لـها "أرجوك ألا تلقي علي بهذه القمامة. لقد سـئمت الـدين والكنيسة والكتاب المقدس. لا تحدثيني عن قمامة الدين." ردت علي بقولـها "يـا سيد، لـم اقل (الدين)، ولكني قلت (يسوع المسيح)."

أوضحت لي شيئا لـم أكن أعرفه من قبل. فالدين هو محاولة البشر للوصول إلى اللـه عن طريق الأعمال الصالحة، بينما المسيحية هي اقتراب اللـه إلـى الناس من خلال يسوع المسيح عارضا عليهم إقامة علاقة معه.

إن عدد الناس الذين يحملون أفكارا خاطئة عن المسيحية في الجامعات يفوق أي عدد آخر في أي مكان في العالـم. قابلت مؤخرا أستاذا مساعدا فـي إحـدى الكليات يعتقد بأن كل من يدخل كنيسة يصبح مسيحيا! فأجبته "هل تصبح سـيارة لمجرد دخولك كراجا للسيارات؟" لا يوجد هنالك أي ارتباط بينهما. فالمسيحي هو الشخص الذي يضع ثقته في يسوع المسيح.

وضع أصدقائي الجدد أمامي تحديا ذهنيا بأن أدرس كل أقوال المسيح بأنـه ابن اللـه، وأنه اتخذ جسدا بشريا، وانه عاش بين أناس حقيقيـين. ومـات علـى الصليب من أجل خطايا البشر، وأنه دفن وقام في اليوم الثالث، وأنه يـستطيع أن يغير حياة شخص في القرن العشرين.

اعتقدت أن هذا الأمر مهزلة. فقد كنت اعتقد في حقيقة الأمر ان المـسيحيين أشخاص أغبياء. كنت قد تعرفت إلى بعضهم، وكنت أنتظر الواحد منهم حتى يتكلم لأمزقه إربا بالنقد والتجريح، وأوجه اللكمات القوية لأي أستاذ يبدو مهزوزا فـي إيمانه. كنت أتخيل أنه لو كان للمسيحي المؤمن خلية دماغية، فإنها ستموت مـن الوحدة.

هذا هو المدى الذي وصلت إليه معرفتي. لكـن هـؤلاء النـاس اسـتمروا يتحدونني المرة تلو الأخرى. وأخيرا قبلت تحديهم بدافع الكبرياء حتـى ادحـض أسس إيمانهم وأفندها. لـم أكن أعلـم أن هنالك حقائق أو أن هنالك أدلة وبراهين يمكن للمرء أن يقومها.

وأخيرا توصل عقلي إلى النتيجة بأنه لا بد أن تكون أقوال يسوع المسيح عن نفسه صحيحة. وفي حقيقة الأمر، فقد بدأت تأليف أول كتابين لـي انطلاقـا مـن رغبتي في دحض المسيحية. وعندما فشلت في ذلك انتهى بي الأمر إلى أن أصبح مسيحيا مؤمنا. أمضيت ثلاثة عشرة سنة وأنا أبين بالوثائق سبب اعتقـادي بـأن الإيمان بيسوع المسيح أمر معقول عقليا.

غير أنه واجهتني مشكلة في ذلك الوقت. فقد كان عقلي يؤكد لي بأن هذا صحيح، ولكن إرادتي كانت تشدني إلى اتجاه آخر. فقد اكتـشفت بـأن الإيمـان المسيحي يحطم الأنا. قدم يسوع المسيح تحديا مباشرا لإرادتي حتى أضـع ثقتـي فيه. دعوني أعيد صياغة ما قاله يسوع، "أنظر!! أنا واقف على البـاب وأقـرع باستمرار. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه" (رؤيا يوحنا ٣:٢٠). لـم يكن يهمني أنه مشى على الماء أو أنه حول الماء خمرا. لـم أرغب فـي وجـود شخص مثله يفسد بهجة الحفلات. (اعتقدت بأن الإيمان بالمسيح يعنـي القـضاء السريع على أي استمتاع بالحياة). وهكذا فقد كان عقلي يـشير بـأن المـسيحية صحيحة بينما كانت إرادتي في مكان آخر.

كان الصراع في نفسي يشتد في كل مرة أكون في صحبة هؤلاء المـؤمنين المتحمسين. فحين تكون في صحبة هؤلاء الناس السعداء وأنت تكون تعيسا، فإنك ستفهم كيف يمكن أن يزعجوك. كانوا في منتهى السعادة، بينما كنت فـي منتهـى التعاسة، حتى أنني كنت أندفع خارج مبنى إتحاد الطلبة هربا منهم. وقد وصل بي

الأمر إلى أنني كنت أذهب إلى الفراش الساعة العاشرة مساء دون أن أتمكن مـن النوم قبل الرابعة صباحا. فأدركت بأن علي أن أنزع هذا الأمر من عقلي قبـل أن أجن. كنت دائما منفتح العقل، ولكن ليس إلى درجة أن يبدأ عقلي بالتلاشي.

ولكن بما أنني منفتح العقل، فقد قررت في الساعة الثامنة والنـصف مـن مساء يوم ١٩٥٩/١٢/١٩ أثناء سنتي الدراسية الثانية فـي الجامعـة، أن أصـبح مسيحيا مؤمنا.

سألني أحدهم، "كيف تستطيع التأكد؟" فأجبت "لقد غير حياتي. وأنا شاهد على ذلك." صليت في تلك الليلة، وبدأت علاقة مع المسيح المقام الحـي الـذي غيـر حياتي منذ ذلك الحين. صليت أربعة أشياء.

أولا، "أشكرك أيها الرب يسوع لأنك مت على الصليب من أجلي." **ثانيـا،** "أعترف بأن هنالك أمورا كثيرة في حياتي لا ترضيك، وأطلب إليك أن تـسامحني وتطهرني." (يقول الكتاب المقدس: إن كانت خطاياكم كـالقرمز، فإنهـا تبـيض كالثلج). **ثالثا** "والآن أفتح باب قلبي وحياتي لك بكل إخلاص وأضع ثقتـي فيـك مخلصا وربا. استلم حياتي. غيرني من الداخل أولا ثـم الخارج. واجعلني ذلـك الشخص الذي خلقتني حتى أكونه." وكان **الجزء الأخير** من صـلاتي، "أشـكرك لأنني أؤمن أنك دخلت حياتي." كان إيمانا مبنيا لا على الجهل، وإنما على الأدلـة والحقائق التاريخية وكلمة اللـه.

أعتقد أنكم سمعتم عدة أشخاص متدينين يتحدثون عـن اختبـاراتهم المثيـرة لحظة الإيمان. غير أن شيئا من هذا لـم يحدث لي. لـم يحدث أي شـيء مثيـر على الإطلاق بعد أن صليت. ولـم تنبت لي أجنحة حتـى الآن! وفـي الواقـع أحسست بالمرض. فسألت "ما الذي ورطت فيه نفسك الآن؟" لقد شعرت بأنني فعلا قد فقدت عقلي (وأنا متأكد بأن هذا هو شعور بعض الناس أيضا!).

لكني أستطيع أن أؤكد لكم شيئا واحدا، وهو أني اكتشفت بعد ستة أشهر إلى سنة ونصف فيما بعد بأني لـم أفقد عقلي. فقد تغيرت حياتي فعلا. اشتركت فـي حوار مع رئيس قسم التاريخ في إحدى الجامعات وقلت خلاله بأن حياتي تغيرت. فقاطعني قائلا، "هل تحاول يا ماكدويل أن تقول لنا في القرن العشرين بأن اللـه غير حياتك حقا؟ حدثنا عن النواحي التي غيرها؟" بدأت أشرح لمدة خمس وأربعين دقيقة عن بعض هذه النواحي، فقاطعني قائلا "حسنا. هذا كاف."

كانت إحدى النواحي التي حدثته عنها، قلقي المستمر. كان لابد لي أن أشغل نفسي دائما، فأذهب إلى بيت صديقتي أو أذهب لأشغل نفسي فـي أيـة جلـسات وأحاديث. كنت أمشي في الحرم الجامعي والصراعات تدور في عقلـي كدوامـة تتقاذفني من حائط لآخر. كنت أجلس محاولا أن أدرس أو أفكر دون جدوى. لكن بعد عدة أشهر من إيماني بالمسيح، صار لدي نوع من السلام العقلي. وأرجو هنا ألا يساء فهمي، فأنا لا أتحدث هنا عن غياب الصراع. فإنني لـم أختبـر فـي علاقتي مع المسيح غياب الصراع بقدر ما اختبرت القدرة على التعايش معه. وأنا أرفض أن أبادل هذا السلام بأي شيء في العالـم.

وهنالك ناحية أخرى تغيرت في حياتي ألا وهي مزاجي الحاد. كنت أنفجـر إذا حاول أحدهم أن يهزأ بي. وما زلت أحمل في جسدي آثار جراح حـين كنـت على وشك قتل شخص عندما كنت في سنتي الجامعية الأولى.كانت عصبيتي جزءا طبيعيا مني حتى أنني لـم أسع للتخلص منها. وحين حاولت بعد الإيمان أن أعالج مشكلة مزاجي الحاد معالجة واعية وجدت أنها اختفت. ولـم أفقد أعصابي إلا مرة واحدة خلال أربعة عشرة سنة - وعندما فقدتها، عوضت عن حوالي ست سنوات من ضبط النفس!

وهنالك ناحية أخرى لست فخورا بها. ولكني سأذكرها هنـا لأن أشخاصـا كثيرين يحتاجون إلى نفس التغيير في حياتهم، وقد وجدت مصدر التغييـر: وهـو علاقة مع المسيح المقام الحي. وهذه الناحية هي الحقد. كان في قلبي كثيـر مـن

الحقد والمرارة. لـم يكن الحقد ظاهرا، ولكنه كان يطحنني مـن الـداخل. كنـت أضيق ذرعا بالناس والأشياء والقضايا. فقد كنت أفتقد للإحساس بالأمان كأشخاص كثيرين غيري. ولـهذا كان كل شخص مختلف عني أقابله يشكل تهديدا لي.

لكني كرهت أبي أكثر مما كرهت أي إنسان آخر. كرهته بقوة. كان بالنسبة لي سكير البلدة. وحين يكون أحد والديك سكيرا في بلدة صغيرة، فإنـه سـيكون حديث البلدة. كان أصدقائي يأتون إلى المدرسة الثانوية ويطلقون النكـات حـول والدي. لـم يعتقدوا بأن نكاتهم تزعجني. فقد كنت أضحك من الخارج، لكني كنت أبكي من الداخل. أساء والدي معاملة أمي، كنت أراها منهكة من ضرب والدي لها مستلقية بين روث البقر خلف الحظيرة. وعندما كان يأتي أحـد لزيارتنـا، كنـت أخرج والدي وأربطه في المخزن وأوقف السيارة حول معلف الدواب حتى لا يراه أحد. كنا نخبر أصدقاءنا بأنه اضطر للخروج إلى مكان ما. ولا أعتقـد أن أحـدا يمكن أن يكره والده كما كرهته.

بعد أن قبلت يسوع مخلصا - ربما بعد خمسة شهور - دخل قلبي حب إلهي من خلال يسوع المسيح. كان هذا الحب من القوة بحيث نزع حقدي وحوله رأسـا على عقب. أصبح في مقدوري أن أنظر إلى والدي وجها لوجه وأقول له "أحبك يا أبي." وكنت أعني ذلك بالفعل. وهزته هذه الكلمات بعد مواقفي السابقة منه.

عندما انتقلت إلى جامعة خاصة، تعرضت لحادث سيارة خطيـر. وضـعت رقبتي في الجبص وعدت إلى البيت. لن أنسى ما حييت والدي الذي دخل غرفتي وسألني "يا إبني، كيف يمكنك أن تحب والدا مثلي؟" فقلت له يا أبي، قبـل سـتة شهور كنت أحتقرك. ثـم شاركته النتائج التي توصلت إليها حول يسوع المسيح، وقلت له "يا أبي لقد دعوت يسوع المسيح أن يدخل حياتي. لا أستطيع أن أشـرح لك ما حصل معي بشكل كامل، ولكنه نتيجة لتلك العلاقة الجديدة مع اللـه وجدت القدرة على أن أحبك وأقبلك، واحب الناس الآخرين أيضا وأقبلهم كما هم."

وبعد خمسة وأربعين دقيقة حصل أحد أعظم الحوادث إثارة في حياتي، فقـد قال لي والدي، وهو أحد أفراد عائلتي الذين يعرفونني جيدا ولا يمكنني خـداعهم، "يا ابني، إذا كان اللـه قادرا أن يفعل في حياتي ما رأيته يفعله في حياتك، فـإني أريد أن أعطيه الفرصة ليغير حياتي." وهناك صلى والدي معـي وقبـل يـسوع مخلصا لحياته.

تحدث التغييرات عادة على مدى عدة أيام أو أسابيع أو أشهر أو سنة. فقـد تغيرت حياتي ما بين ستة أشهر إلى سنة ونصف. ولكن حياة والدي تغيرت أمـام عيني، كما لو أن أحدهم ضغط على زر كهربائي. لـم أر تغيـرا بمثـل هـذه السرعة قبل أو منذ ذلك الحين. لـم يلمس والدي الخمر إلا مرة واحدة بعد ذلك. فقد وصلت الخمر إلى شفتيه فقط لكنه لـم يذقها. وقد وصلت إلى نتيجة واحـدة وهي أن العلاقة مع يسوع المسيح تغير الحياة.

تستطيع أن تسخر من المسيحية أو تهزأ بها. لكنها فعالة لأنها تغير الحيـاة. وإذا آمنت بالمسيح، فابدأ بمراقبة مواقفك وأعمالك لأن يسوع المسيح نـشط فـي تغيير حياة الناس.

لكن المسيحية ليست شيئا يمكنك أن تجبر شخصـا عليه وتدسـه فـي حلقه. فلديك حياتك الخاصة كما أن لدي حياتي الخاصة. وكل ما أستطيع أن أقوله لك هو أن أخبرك بما تعلمته واختبرته. ويظل القرار بعد ذلك قرارك وحدك.

قد تساعد الصلاة التي صليتها: "أيها الرب يسوع. أنا أحتاجك. أشكرك من أجل موتك على الصليب من أجلي. اغفر لي وطهرني. أقبلك الآن مخلصا وربـا. اجعلني ذلك الشخص الذي خلقتني حتى أكونه. بإسم يسوع. آمين."

هل سمعت
بالمبادئ الروحية الأربعة؟

كما توجد مبادئ (نواميس) طبيعية تسيطر على العالم المادي، كذلك توجـد مبـادئ روحيـة تسيطر على علاقتك بالله.

المبدأ الأول

إن الله **يحبك** ولديه **خطة** مدهشة لحياتك.

محبة الله

"الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه". (**١ يوحنا** ٤: ١٦)

خطه الله

قال يسوع: "أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل" (حياة ممتلئة وذات هدف)

(**يوحنا** ١٠:١٠)

لماذا لا يختبر معظم الناس

هذه الحياة الفضلى؟

المبدأ الثاني

لأن الإنسان **خاطئ ومنفصل** عن الله، فلا يقدر أن يعرف ويختبر **محبـة الله** ولا **الخطة** التي رسمها لحياته.

الإنسان خاطئ

"إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله". (**رومية** ٣: ٢٣)

الله قدوس: قال الله: "... كونوا قديسين لأني أنا قدوس". (**١ بطرس** ١: ١٦).

الإنسان منفصل عن الله

"لأن أجرة الخطية هي موت". (انفصال روحي عن الله) (**رومية** ٦: ٢٣)

الله القدوس

الإنسان الخاطئ

الله قدوس والإنسان خاطئ، وتفصل بين الاثنين هوة عظيمة. غير أن الإنسان يحاول باستمرار الوصول إليه تعالى وإلى الحياة الفضلى بجهوده الشخصية: كالأعمال الصالحة، والتدين، والأخلاق الجيدة والفلسفة وغير ذلك. ولكن كل محاولات الإنسان الذاتية تبوء بالفشل.

خلق الإنسان ليكون في شركة مع الله، لكن بسبب إرادته الذاتية العنيدة اختار السلوك في طريقه المستقل فانقطعت الشركة بينهما. هذا الانفصال عن الله هو ما يسميه الكتاب المقدس خطية، ويظهر في (١) التمرد على الله، (٢) لا مبالاة الإنسان بأمور الله وأيضا في (٣) التقصير في حفظ وصايا الله.

المبدأ الثالث يقدم لنا الحل الوحيد لهذه المعضلة، وهو ...

المبدأ الثالث

إن **يسوع المسيح** هو علاج الله **الوحيد** لخطية الإنسان، وبواسطته وحده يمكنك أن تعرف **محبة الله وخطته** لحياتك. فالمسيح ...

(١) عجيب في ولادته:

لم يكن للمسح أب بشري. لأنه حبل به بقوة الروح القدس في أحشاء مريم العذراء. لذلك دعي ابن الله... "فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا؟ أجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك. فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله". (**لوقا** ١: ٣٤-٣٥)

(٢) عجيب في موته:

وكما فدى الله ابن أبينا إبراهيم بكبش عجيب عندما أوشك أن يضحي به لله، هكذا افتدى الله العالم كله بالكبش العظيم، يسوع المسيح، الذي مات عوضا عنا ليمحو خطايانا. أي أن المسيح

بدافع محبته قد حمل عقاب خطايانا. "وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا إليه فقال: هوذا حمـل الله الذي يرفع خطية العالم". (**يوحنا** ١:٢٩)

"لكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا". **(رومية** ٥:٨**)**

(٣) عجيب في قيامته:

"إن المسيح مات من أجل خطايانا ... وإنه دفن وإنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وإنـه ظهر لصفا (بطرس) ثم للاثني عشر وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمس مئة أخ".

(**١ كورنثوس** ١٥: ٣-٦)

لذلك فالمسيح هو الطريق الوحيد:

"قال له يسوع: أنا هو **الطريق** والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي".

(**يوحنا** ١٤: ٦).

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكـون لـه الحياة الأبدية". (**يوحنا ٣:** ١٦)

أقام الله جسرا فوق الهوة التي تفصلنا عنه إذ أرسل يسوع المسيح ليموت عنا على الصليب.

يسوع المسيح:

حمل الله القدوس

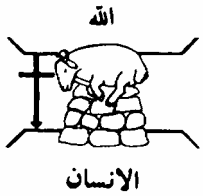

لا يكفي أن تعرف هذه المبادئ

الثلاثة وحسب ...

أو أن تؤمن بها فقط ... بل

...

المبدأ الرابع

يجب على كل منا أن **يقبل** يسوع مخلصا وسيدا له. عندئذ نعرف ونختبر **محبـة الله وخطته** لحياتنا.

ينبغي أن نقبل المسيح:

"أما كل الذين **قبلوه** فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه".

(**يوحنا** ١: ١٢).

نحن نقبل المسيح بالإيمان:

"لأنكم بالنعمة مخلصون **بالإيمان** وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخـر أحد".(**أفسس** ٢: ٨،٩)

نحن نقبل المسيح بدعوة شخصية منا:

قال يسوع: هأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه ... " (**رؤيا** ٣: ٢٠).

يتضمن قبول المسيح التحول من الذات إلى الله (التوبة) ثقة منا بأن المسيح يدخل حياتنا ويغفر خطايانا ويجعلنا كما يريد هو ...

ولا يكفي أن نقتنع عقليا بتصريحات المسيح أو نختبر اختبارا عاطفيا فقط.

تمثل الدائرتان التاليتان نوعين من الحياة:

حياة تسيطر عليها الذات

ذ – الذات المحدودة على العرش

† - المسيح خارج الحياة

- الأهواء تحت سيطرة الذات المحدودة اللامحدود

فينجم عنها الفوضى والفـشل

'" جام مع خطة الله

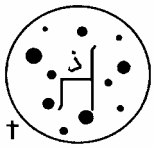

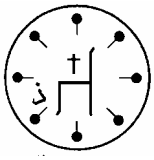

حياة يسيطر عليها المسيح

ذ – الذات الخاضعة للمسيح

† - المسيح على عرش الحياة

- الأهواء تحت سيطرة الله

فيـنجم عنهـا

أية دائرة منهما تمثل حياتك الآن؟ أية دائرة تريد أن تمثل حياتك منذ الآن؟

فيما يلي الكيفية التي بها تقدر أن تقبل المسيح:

يمكنك قبول المسيح الآن بالصلاة الواثقة بالله.(الصلاة هي محادثة مع الله).

الله يعرف قلبك ولا تهمه اللغة التي تستعملها بمقدار ما يهمه إخلاصك القلبي. ونقترح عليـك الصلاة التالية:

"أيها الرب يسوع، أعترف بأني إنسان خاطئ، اغفر خطاياي، اقبلني ابنا (ابنة) لـك، إننـي أفتح الآن باب قلبي وأقبلك مخلصا وسيدا لي. من اليوم أضع ثقتي بك، تربع علـى عـرش حياتي واجعلني ذلك الإنسان الذي تريدني أن أكونه. أشكرك لأنك سمعت لصلاتي. آمين".

هل تعبر هذه الصلاة عن رغبة قلبك؟

إن نعم، صل الآن هذه الصلاة. وسيدخل المسيح قلبك كما وعد.

كيف تعلم أن المسيح في حياتك؟

هل قبلت المسيح في حياتك؟ بناء على وعده في **رؤيا** ٣: ٢٠، أين المسيح الآن بالنسبة لـك؟ وعد المسيح أن يدخل قلبك. على أي أساس تتأكد أن الله قد استجاب صلاتك؟ **عن ماذا يعبـر الباب في هذه الآية؟ ما هو دورك هنا؟ ما هو دور الله بحسب وعده؟** والـسؤال الآن: هـل

قبلت المسيح في حياتك عندما صليت؟ على أي أساس تعلم أن الله قد استجاب لصلاتك؟... (بناء على أمانة الله وصدق كلمته).

يعد الكتاب المقدس بالحياة الأبدية لكل من يقبل المسيح

"وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة. كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية". (**١ يوحنا** ١١:٥-١٣). بحسب هذه الآية: **ماذا أصبح لك؟ أين توجد هذه الحياة؟ هل لك الابن؟ إذا كان لك الابن فماذا لك؟**

أشكر الله دوما لأن المسيح حال في حياتك ولأنه لا يتركك ولا يهملك (**عبرانيين** ١٣: ٥). بناء على وعده، يمكنك الوثوق من أن المسيح الحي حال فيك وأن لك حياة أبدية منذ اللحظة التي تدعوه فيها للدخول إلى قلبك، فهو لا يخدعك. هل يمكن أن يتركك المسيح بعد أن قبلته؟ إذا كان المسيح لن يتركك، كم مرة تحتاج أن تدعوه ليدخل إلى حياتك؟ **ماذا عن الشعور؟**

لا تعتمد عليه.

أساس الخلاص هو وعد كلمة الله لا شعورك الشخصي. فالمسيحي يحيا بالإيمان (الثقة) بأمانة الله وصدق كلمته. يوضح لنا رسم السيارة هذه العلاقة بين **الحق** (أي الله وكلامه) **والإيمان** (ثقتنا بالله وكلامه) **والشعور** (نتيجة إيماننا وطاعتنا) (**يوحنا** ١٤: ٢١).

تستطيع السيارة السير بمقطورة وبدون مقطورة. لكنه من الجهالة بمكان محاولة جر السيارة بالمقطورة.

هكذا نحن أيضا كمؤمنين لا نعتمد على الشعور والعواطف بل نضع إيماننا (ثقتنا) في أمانة الله وصدق مواعيد كلمته المقدسة.

أما وقد قبلت المسيح الآن ... فقد حدثت لك أمور كثيرة:

١. دخل المسيح إلى قلبك (**رؤيا** ٣: ٢٠، **كولوسي** ١: ٢٧).
٢. غفرت خطاياك (**كولوسي** ١:١٤).
٣. صرت ابنا لله (**يوحنا** ١: ١٢)
٤. بدأت مغامرتك الكبرى التي خلقك الله لأجلها (**يوحنا** ١٠:١٠؛ **٢ كورنثوس** ٥: ١٧؛ **١ تسالونيكي** ٥: ١٨).
٥. نلت الحياة الأبدية (**١ يوحنا** ٥: ١١-١٣؛ **يوحنا** ٣: ١٦).

هل تستطيع أن تفكر بما هو أعظم من قبولك للمسيح؟
ما رأيك في أن تشكر الله الآن بالصلاة على ما فعله لأجلك؟
إن شكرك لله فى حد ذاته هو دليل إيمانك به.

ماذا بعد؟

اقتراحات للنمو المسيحي:

إن النمو الروحي هو ثمرة الثقة بيسوع لأن "البار بالإيمان يحيا". (**غلاطية** ٣ :١١). وستمكنك حياة الإيمان من ائتمان الله أكثر فأكثر على كل أمورك وممارسة ما يلي:

١. أن تقترب من الله بالصلاة يوميا (**يوحنا** ١٥: ٧).
٢. أن تقرأ كلمة الله يوميا – مبتدئا بإنجيل يوحنا (**أعمال** ١٧: ١١).
٣. أن تطيع الله لحظة فلحظة (**يوحنا** ١٤: ٢١)
٤. أن تشهد للمسيح بحياتك وأقوالك (**متى** ٤: ١٩؛ **يوحنا** ١٥: ٨).
٥. أن تثق بالله في كل شؤون حياتك (١ **بطرس** ٥: ٧)
٦. أن تدع الروح القدس يسيطر على حياتك اليومية وشهادتك ويؤيدهما بقوته (**غلاطية** ٥: ١٦،١٧؛ **أعمال** ١: ٨).

أهمية الكنيسة:

يحذرنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين ١٠: ٢٥ من أن نكون "تاركين اجتماعنا ... " إن قطع الحطب مجتمعة تشتعل وتتأجج، ولكن حالما تضع إحداها جانبا تنطفئ، هكذا هو الحال في علاقتك مع بقية المؤمنين. فإن كنت لم تنضم بعد إلى كنيسة ما فلا تنتظر من يدعوك إلى ذلك بل اتخذ المبادرة واتصل براعي أقرب كنيسة إليك يمجد فيها المسيح ويكرز بكلمته. ابدأ هذا الأسبوع وليكن حضورك منتظما.

هل ترغب في إطلاع غيرك على ما اكتشفت؟

إن كنت قد قبلت المسيح مخلصا شخصيا لك، فلا تتردد بأن تبدأ بالشهادة للآخرين فقد قال يسوع: "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (**مرقس** ١٦: ١٥). أيضا ستحتاج إلى دروس لكي تنمو في حياتك الجديدة هذه، وهذا سيتطلب منك جلسة أسبوعية على الأقل. إن كنت تريد ذلك، فلا تتردد بالاتصال بنا على العنوان:

شخص عجيب ... وفريد

دخل جنسنا البشري ...

أحب العالم ... إلى النهاية ...

إلى الفداء ...

داس بموته الموت ... ثم قام ...

أخذ بيسراه يد الإنسان ... وبيمناه السماء

ليصالح الأرض مع الله ...

أحبني ... فأحببته

إنه أعظم من ... نجار